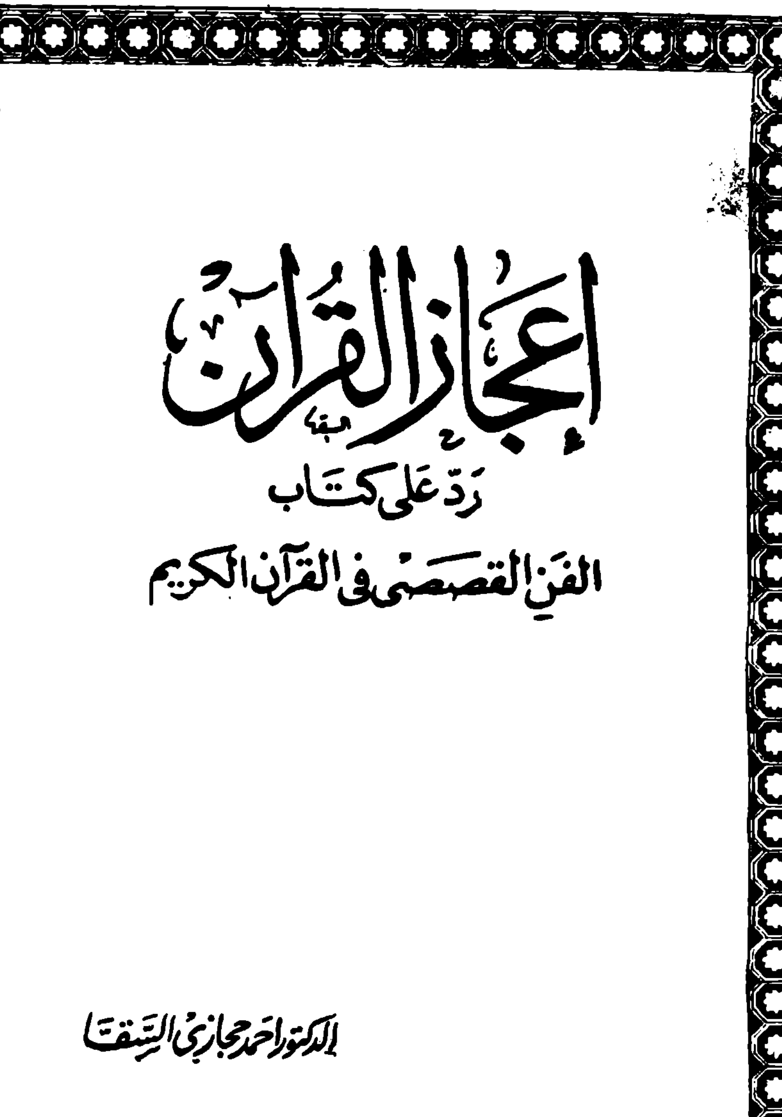


# إعجاز القرآن

رد على كتاب

الفن القصصي في القرآن الكريم

الدكتور احمد حجازي السقا

الدكتور احمد حجازى السقا






الطبعة الثانية بمصر
١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م




٤٠ شارع خيرت - المالية ت : ٢٠١٤٠
دار العلم للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة الطبعة الأولى

« الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . إهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » والصلاة والسلام على النبي الأمى الكريم ، المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى الرسل السابقين ، والتابعين لهم بخير إلى يوم الدين .

أما بعد

فمن إعجابي بفضيلة الدكتور الشيخ عبد الغنى الراجحى لعلمه الغزير ، وبراعته فى الحوار ، أترقب مواعيد مناقشته لرسائل الدكتوراه ، وأستعد للسماع باهتمام .

وفى رسالتين متتاليتين له مطلع هذا العام ١٣٩٦ هـ أثار نقاشا حول كتاب « الفن القصصى فى القرآن الكريم » ورغم أنه يتحدث

هما فى الكتاب بأمانة إلا أننى أردت أن أرى الكتاب بعينى وأن أقرأه بنفسى .

قرأت فى مقدمة الكتاب(١) : أن المعركة حول دائرة منذ سنة ١٩٤٧ م وأن حوراً قد دار بين الأستاذ أمين الخولى ، والأستاذ توفيق الحكيم وقد تصايح الناس فى الصحف ، وتصارخوا فى المساجد وتصاخبوا فى الإذاعة ، وولولوا فى مراكز الجمعيات ، وهللوا فى البرلمان . مطالبين بوقف تداوله بين الناس . حتى الأزهر نفسه مكتوب عنه فى المقدمة « يسمع ويرى رجلا يعلن : أن ربه الله ورسوله محمد، ودينه الإسلام ، وكتابه القرآن ، وأنه إنما يفهم فى القرآن السماوى فهما ، ما . بل يفهم فى متشابهه فهما ما فلا يقال له أخطأت أو اسرفت أو . أو . بل يقال له : قبل أى تحر ، أو تثبت كفرت ، ولماذا؟ لأنك جعلت القرآن فنا » .

ولما كان لكل كاتب من كتابه هدف يرمى إليه ، فقد أردت أن أعرف هدف هذا الكتاب ، فالفيته فى المقدمة هكذا : « ليس القرآن قصصاً لتعليم التاريخ ، ولا سرد وقائعه مرتبة مستوفاة ، لتعرف منها الحقائق التاريخية ، ولذلك لايلزم : أن تكون كل حوادث القصص القرآنى قد وقعت » .

---

(١) الفن القصصى — تأليف الدكتور محمد أحمد خلف الله — نشر مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٢م — الطبعة الرابعة .

وعقب انتهائى من القراءة والدرس. كان شهر ربيع الأول سنة ١٣٩٦ قد أقبل بذكرياته العطرة ، فرأيت أن أحدث الناس فيه عن : إعجاز القرآن ، وكيف أن نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم ، وهو نبى أمى ما كان يقرأ ، وما كان يكتب وما كان يحسب ، ونشأ فى بيئة أمية جاهلة ، لامدارس فيها ، ولا جامعات ، ولا معاهد علمية ، كيف نطق بهذا القرآن العظيم ، المعجز فى لفظه ومعانيه ؟ كونه أمياً ، ويأتى بالصحيح من العلم ، يدل على أن الله عز وجل هو الذى أوحى إليه القرآن .

ومن عادتى أن أكتب محاضراتى بترتيب ونظام قبل أن ألقيها ، لألقى الكلام عن بينه ولما كنت أعرف أن قصص القرآن قد وقعت أحداثه بالفعل لأنى منذ سنوات أبحث من تلقاء نفسى عن مطابقة قصص القرآن بما فى كتب الأقدمين . كتبت هذا الكتاب على هيئة محاضرة مراعيا فيها : نقد فكرة « الفن القصصى فى القرآن الكريم ، ثم بدأت فى شرحها على مدى أسبوع كامل . وقد طلب منى بعض الحاضرين : طبعها ونشرها ، فاستجبت لهم .

* * *    * * *    * * *

ليس هذا إذاً كتاباً شاملا فى إعجاز القرآن الكريم ، وإنما هو محاضرة إقتضتها المناسبة فى الألفاظ والمعانى الأعجمية فى القرآن الكريم

للرد على « الفن القصصى فى القرآن الكريم » ، وغرضى منها : إيصال بعض الحق إلى الناس ، حتى يصلهم الحق الكامل . وسوف بإذن الله ريثما أفرغ من بعض المهام ، أقدم الرد الكامل لكل قضايا « الفن القصصى فى القرآن الكريم » مدعما بالإدلة الواضحة والحجج المقنعة .

ولعلى بهذا العمل المتواضع . أكون قد قدمت خدمة للأزهر المجيد ، اعترافا بفضله وتقديراً لأساتذته المخلصين .

والله عز وجل أسأل أن يوفقنا لخدمة العلم والدين ؟

أحمد حجازى أحمد السقا

# مقدمة الطبعة الثانية

لما ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، رأى فيه العامة من الناس صعوبة فى الفهم . ورأى فيه الراسخون فى العلم . حججا مقنعة بأسلوب واضح موجز . ولقد طلب العوام وضوحاً ، وطلب الراسخون فى العلم مزيداً من الحجج .

إننى لأستجيب لرغبة العلماء لأن «الفن القصصى فى القرآن الكريم» مكتوب للعلماء ولا يعرفه الاهم . وحتى يصل العوام إلى الدرجة التى يمدحهم الله عليها فإنهم حالئذ يستطيعون فهم الكتاب .

ألم زد على الطبعة الاولى شيئا ذا بال ، ولم انقص شيئا يهم وربما يظن أحد أن الكتاب اصغر حجمه قد غادر قضايا أثارها صاحب الفن . ذلك ظن لاينبغى أن يكون ، إنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة لم يتعرض لها بطريق مباشر ، أو غير مباشر . يعرف ذلك من قرأ الكتابين معا . ولقد جاء صغر الكتاب نتيجة الإقلال من الأدلة من جهة وإيجاز اللفظ من جهة أخرى .

وفى نهاية الكتاب وضعت تفسيراً لما قد بدا غامضا . إما من ردود على صاحب الفن نفسه وإما لعبارات وردت فى كلامنا .

والعصمة لله وحده . والله ولى التوفيق

وخالص الشكر والتقدير أقدمه لصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمود مصطفى بدوى شيخ معهد شربين الدينى على تفضله بمراجعة الكتاب . وحسن التوجيه .

# تمهيد

إن معجزة نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم هي القرآن الكريم «كتاب أحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير» [ هود ١ ].

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أميا كقومه، لا يكتب ولا يقرأ، فأوحى الله إليه القرآن لفظا ومعنى . فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تلا على الكفار منه شيئا يعجبون بفصاحة الكلام وبلاغته، ويعرفون من الكلام معان ما كانوا يعرفونها مثله من قبل . فيقولون «أساطير الأولين اكتتبها . فهي تملى عليه بكرة وأصيلا» [الفرقان ٥]

ولقد عجز العرب عن الإتيان بالكل . أو بعشر سور، أو سورة . وعجزهم راجع إلى أنهم أميون، وهم وإن كانوا فصحاء إلا أن فصاحتهم لم تغن عنهم شيئا لأنهم لا يعرفون المعاني التي يصوغونها في أساليب فصيحة . وكيف يعرفون المعاني، وليس عندهم مدارس للعلم، ولا معارف ولا فنون، واليهود من حولهم لا يبصرونهم، ولا يقبلون أبناءهم في مدارسهم . والنصارى وإن كانوا يقبلون في في مدارسهم أبناء من كل الأمم . لا يودون يومئذ خيرا للعرب بدليل هجومهم على مكة عام الفيل ؟

من أين إذاً يعرف العرب المعاني ليصوغوا بعضها في أساليبه

فصيحة ليتحدوا نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ؟ وحتى لو قبل أهل الكتاب تعليم أبناء العرب فى مدارسهم فإن العلم الذى عندهم ما هو إلا دين قد خرجوا به من أصوله وقواعده . بينما القرآن يذكر غير هذا الدين فيما يذكر ، أنواعا من التواريخ القديمة ، وما سيأتى به الزمن، وشيئا من العلوم الكونية التى عرفها الناس حديثا فى عصرنا هذا وعلوم كثيرة .

لذلك كان القرآن فى نظر العرب معجزاً من جهة أن نبي الإسلام كان راعى غنم مثلهم ، وكان تاجرا لم يتعلم وأتى بهذه المعارف والعلوم فى أسلوب محكم دقيق . ومن جهة أنهم غير قادرين على المعارضة لأنهم لا يعرفون معان يضعونها فى أساليب فصيحة . فلذلك اعترفوا بأن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي صادق ، وأن القرآن تنزيل من حكيم حميد .

ولقد حمل العرب رسالة الله إلى الأمم . فنظرت الأمم فى القرآن فوجدوه كتابا يحتوى على معارف وعلوم لا ينقض بعضها بعضا . وأن كل لفظ موضوع على المعنى المناسب بدقة وإحكام فأرادوا محاكاته . ولكنهم عجزوا لأنه ليس فى مقدور فرد واحد أن يحيط بجميع العلوم والمعارف ثم يصوغها بأسلوب محكم رصين ، ولايستطيع البشر جميعا حتى ولو طلبوا مساعده الجن لهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن لانهم ما أوتوا من العلم إلا قليلا . وعجز العرب وعجز العالم : دليل على أن القرآن من الله ، وأن النبي حق .

# إعجاز القرآن

القرآن الكريم كلام الله عز وجل ، أنزله الروح القدس من لدن الله على النبي ﷺ باللفظ والمعنى . وقد تحدى الله الراسخين في العلم من الناس : أن يأتوا بمثله . أو بعشر سور منه . أو بسورة واحدة . وبين أن الراسخين في العلم لن يستطيعوا حتى ولو طلبوا مساعدة الجن لهم يقول تعالى « قل لئن اجتمعت الإنس والجن ، على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ، (الإسراء ٨٨) « أم يقولون افتراه قل : فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعو من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » ( هود ١٣ ) « أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » ( يونس ٣٨ ) .

القرآن الكريم لهذه الأدلة معجز للإنس والجن . فما وجه الإعجاز؟ وما الهدف من وراء هذا الإعجاز ؟ ان وجه الإعجاز باختصار هو : أن الرسول ﷺ تحدث عن علوم ومعارف ما كان يستطيع معرفتها بغير الله « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك . إذاً لارتاب المبطلون » ( العنكبوت ٤٨ ) .

والهدف من وراء الاعجاز باختصار هو : أن يؤمن الناس بالله إلهاً واحداً لا شريك له في الملك ، ويعملوا بشريعة الله التي فرضها عليهم عن طريق هذا النبي الأمي الكريم . ونفصل الأمر عن وجه الإعجاز فنقول :

القرآن معجز فى ألفاظه وعلومه ، سواء من هـذه العلوم ما كان قبل الإسلام . أو من علوم ستظهر مستقبلا . ونكتفى هنا بالحديث عن الألفاظ والمعانى الأعجمية .

إن فى القرآن الكريم ألفاظا غير عربية ، أوحاها الله إلى النبى ﷺ والغرض منها :

(أ) أنها تدل على معان بحسب أصل وضعها فى غير العربية مثل لفظ « سجيل » فى قوله تعالى « ترميهم بحجارة من سجيل (الفيل ٤) فإنه لفظ فارسى ، يعنى فى لغة الفرس « من شديد عذابه » أى أن أصحاب الفيل رموا بحجارة من عذاب شديد ، أعده الله لهذا الصنف من الجاحدين : مثلهم فى ذلك مثل قرية قوم لوط « وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك » (هود ٨٢ - ٨٣) .

وليس للكافرين نوع واحد من العذاب ، لأن دركات الكفر ليست واحدة فكأن الرسول وهو أمى قد ميز أنواع الكفر وأنواع العذاب .

(ب) أنها لا تدل على معان بحسب أصل وضعها فى غير العربية كالأسماء مثلا . فإنها لا تحلل مثل « عيسى » وقد اختيرت اسم « عيسى » بالذات هنا ، لأن هذا الاسم لا يسمى به فى العرب ، ولا يعرف فيما بينهم فمعرفة الرسول له تدل على أن الله هو الذى يوحى إليه . إن « عيسى »

اسم يونانى ، واليهود فى المدينة ينطقونه« يشوع »أو يهوشوع ونصارى نجران وغيرهم فى العرب ينطقونه « يسوع » أو « إيسوع » .

وقد كانت اللغات الشائعة فى عصر النبى ﷺ والتى كانت من قبله هى فى علمنا : العبرية والسريانية التى هى لهجة من الآرامية والفارسية واليونانية والحبشية والقبطية ، والعبرية حديثة من زمن بابل ، وقديمة لم تتغير عن أصلها الاول .

وفى القرآن الكريم ألفاظ من هذه اللغات من العبرية والسريانية . والفارسية واليونانية والحبشية والقبطية وهذا يعنى أن الرسول ﷺ دارس لهذه اللغات حتى يستطيع أن يتخير اللفظ المناسب من كل لغة ، ويضعه على المعنى المناسب له . ولم يكن الرسول دارسا لأنه نشأ فى فى بيئة أمية ، لا تعرف من علوم الديانات شيئا ولا من علوم الحضارة فثبت أن القرآن كلام الله . ووحى الله « وكذلك نصرف الآيات ، وليقولوا درست ، ولنبينه لقوم يعلمون » ( الأنعام ١٠٥ ) .

إن من العبرية مثلا كلمة « اليم » التى تعنى : البحر الذى ماؤه ملح ، لا النهر الذى ماؤه عذب(١) . وكلمة « باء » التى تعنى : رجع : ومن

---

(١) قصدت بكلمة اليم تصحيح تفسير المنار فى تفسير الاية ١٣٤ من الأعراف ان تابوت موسى كان فى مصرف فاقوس بمحافظة الشرقيــة فى مصر وماؤه ملح وكان التابوت متجها الى المنزلة ولقد خرج موسى ببنى اسرائيل من منطقة الدفرسوار على البحر الأحمر قريبا من السويس والاسماعيلية . والماء فيها ملح .

السريانية « نوح » ومن اليونانية « إلياس » و« يونس » ومن الحبشية « ناشئة » فى قوله تعالى « ناشئة الليل » ( المزمل ٦ ) و « كفلين » فى قوله تعالى « يؤتكم كفلين من رحمته » ( الحديد ٢٨ ) ومن القبطية « بيع » أى كنائس . وهكذا .

وقد أثبت أمثلة على تعدد الألفاظ الأعجمية فى القرآن من كل لغة، لأرد على القائلين : إن معانى القرآن من الله واللفظ من اختيار محمد نفسه . إن هذا الرأى يكذبه : كون الرسول صلى الله عليه وسلم أميا ولم يكن دارسا . ولأقوى رأى القائلين بوجود ألفاظ أعجمية فى القرآن ، أقوى مثلا قول من نقل عنهم السيوطى فى الإتقان « إن فى كتاب الله تعالى من كل لغة » .

والذين يقولون : ليس فى القرآن لفظة إلا وهى عربية صريحة وأن الأمثلة والحروف التى تنسب إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تواردت اللغات عليها . قولهم هذا : يخل بإعجاز القرآن ، إن لم نقل إنه يقضى على الإعجاز تماما : إنك لو تأملت مثلا فى لفظ « المسيح » وطبقته على لغة العرب . فهل تجد أن العرب كانت تستعمل هذا اللفظ ؟ إن العرب لم يستعملوه لعدم حاجتهم له .

إن لفظ « المسيح » فى العبرية « همشيح » بعد الهاء والميم مفتوحتين

مفخمتين . وفى الآرامية « مشيح » وفى اليونانية « مسيح » وأصل كلمة « همشيح » . الممسوح بالزيت المقدس أو الدهن . فهل كان عند العرب مسحاء وكهنة ؟ ولو تأملت فى لفظ « الرقيم » وهو لوح كتب فيه أسماء أهل الكهف ووضع داخل كهفهم . هل سمعت أن العرب استعملوا هذا اللفظ دالا على ألواحهم التى كانوا يكتبون فيها ؟ هل سموا ، الرقاع والعسب والأكتاف واللخاف والأقتاب وأمثال ذلك : رقيما ؟ فإن قلت : إذ كان هذا ثابتا فلماذا إذاً يقول الله فى القرآن « وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين ، وإنه لفى زبر الأولين » ( الشعراء ١٩٢ — ١٩٧ ) . نقول إن الألفاظ الأعجمية قليلة جدا والألفاظ العربية هى الكثيرة الغالبة . ومن أجل ذلك تجد مفسرى القرآن الكريم يجيدون التفسير فى الكثير ، ويضطربون فى الباقى ، ولو كان المفسرون دارسين للغات الأجنبية السالفة الذكر ومليز بعادة العرب فى النطق ما اضطربوا اضطرابا .

ومن إعجاز القرآن فى هذا الموضع أن العربى الفصيح يستطيع إدراك المعنى للفظ الأعجمى من سياق الكلام فهو يستطيع أن يعرف مثلا معنى « زبر » بأنها . كتب . لأن الأولين هم الرسل السابقين ، وقد تركوا علمهم فى الكتب وهى متداولة بين علماء بنى إسرائيل . وهو يستطيع أن يعرف معنى « ربانيين » فى قوله تعالى « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة . ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من

دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون » يعرف معنى « ربانيين » بأنهم العلماء الدارسون من قوله «بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون» ( آل عمران ٧٩ ) ورابى كلمة عبرية تعنى المعلم «ربى الذى تفسيره يامعلم » ( يوحنا ١ : ٣٨ )(١) وتأتى أيضاً « ربان »

... ... ...

ننتقل بعد ذلك إلى المعانى ونقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم تحدث فيما تحدث عن قصص الأولين وما فى القرآن قصة إلا وقد حدثت بالفعل ، تحدث مثلا عن آدم وابنيه وإدريس ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى بأسلوب عربى فصيح فكأن الرسول دارس للغات العالم ، ومطلع على علوم العالم ومعارفهم بلغاتهم التى ينطقون بها ، ثم ترجم من علومهم ومعارفهم إلى لغة العرب فى القرآن الكريم ولما كان قد ثبت أن الرسول كان أمياً وبيئته شاهدة على ذلك وحتى يومنا هذا يثبت بالضرورة أن القرآن كلام الله ووحى الله . إن من العبرية مثلا قصة إبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف ومن اليونانية قصة أصحاب الكهف وذى القرنين ومن الحبشية أصحاب الفيل وهكذا ومن عجيب الإعجاز فى

---

(١) ننقل نصوص التوراة والانجيل من طبعة البروتستانت بمصر باللغة العربية سنة ١٩٧٠ م

القصص : أن بعضه من المخفى جداً جداً فى الكتب التى لا يعرفها إلا أخص المتخصصين من الدارسين ، الذين أفنوا حياتهم فى الدرس والإطلاع . فمثلا مجادلة إبراهيم لأبيه فى عبادة الأصنام ليست مذكورة فى التوراة ، وإنما هى فى التلمود . وإلى الآن لم يترجم إلى اللغة العربية فكيف عرفها النبى صلى الله عليه وسلم ؟ وقصة داود عليه السلام(١) « اذ عرض عليه بالعشى : الصافنات الجياد فقال : إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى ، حتى توارت بالحجاب ردوهـــا على فطفق مسحاً بالسوق والأعناق » ( ص ٣١ — ٣٣ ) أنظرها فى سفر أخبار الأيام الأول « وأخذ داود منه ألف مركبة ، وسبعة آلاف فارس ، وعشرين ألف راجل ، وعرقب داود كل خيل المركبات ، وأبقى منها مئة مركبة » ( ١٨ : ٤ ) وفى الأسماء العبرية أمثلة لهذا النوع فإن « إدريس » فى التراجم العبرية الحديثة « أخنوخ » ومفسرو القرآن نقلوه عنهم هكذا .

٭٭٭ ٭٭٭ ٭٭٭

ومن عجيب الإعجـــاز فى القصص أيضاً : أن الله يذكر الفروق الدقيقة بين الكتب التى تتحدث عن القصة الواحدة . مثال ذلك « قالوا نفقد صواع الملك » ( يوسف ٧٢ ) ولا يوجد الصواع فى التوراة العبرية ، وإنما هو مذكور فى التوراة اليونانية وقوله تعالى « وإذ قال

---

(١) فى كتب التفسير أنها لسليمان

إبراهيم لأبيه آزر » ( الأنعام ٧٤ ) يشير بآزر إلى اختلاف التوراة السامرية والعبرية فإن آزر هو الأب الحقيقى ، لا تارح .

٭٭٭ ٭٭٭ ٭٭٭

وقد يقول قائل : إن الرسول ربما ترجم له بعض الدارسين لهذه اللغات ، وصاغ هو ذلك بأسلوب من عنده وهذا القول مردود . لأن الرسول ﷺ كان يذكر ما يذكر سواء فى القصص أو غيره بأسلوب التحدى ولو كان يردد ما يسمع ما كان له أن يتحدى . إذ ربما أن يكون ما سمعه لغوا من القول أو من دارس غير ثقة . أما أن يتحـــدى الراسخين فى العلم فذلك إعجاز ما بعده إعجاز .

إنه لا يعقل أن يكون رجلا واحداً محيطاً على وجه الدقة بجميع الفنون ، والعلوم . ولا يعقل أن يكون رجلا واحدا محيطاً على وجه الدقة بلغات العالم وأشد بعداً فى العقل أن يكون رجلا واحداً محيطاً على وجه الدقة بلغات العالم ومعارفه معا . وإذا وجد — ولا يمكن أن يوجد — فهل يستطيع أن يصوغ معلوماته بأسلوب محكم منظم ؟ وإذا كان هذا الذى ذكرته مستحيلا فى عصرنا هذا ، عصر التقدم الهائل فى العلم والفن فهل كان ذلك معقولا لنبي أمى فى زمن عمته البارزة الجهل والغباء ؟

خذ لذلك مثلا قصة أصحاب الكهف . لقد بين الرسول ﷺ أنه

الكتب العلمية الموثوق فيها التي تتحدث عن قصتهم ثلاثة . كتاب يقول: ثلاثة رابعهم كلبهم ، وكتاب يقول : خمسة وسادسهم كلبهم ، وهذا رأى على سبيل الظن وكتاب يقول : سبعة وثامنهم كلبهم . هل يستطيع عالم أن ينكر ان كتابا رابعا؟ ولو سألت عوام النصارى عن هذه القصة ما عرفوها البتة لأنها ليست فى الأناجيل ، إنه لا يعرفها إلا المتضلعون فى علوم الأديان ، ولذلك قال « لا تمار فيهم إلا مراءاً ظاهراً » لأنها عند الدارسين من قبيل الأساطير « ولا تستفت فيهم منهم أحداً» لأنهم لا يعتقدون فى صدق الرواية(١) .

° ° ° ° ° ° ° ° °

ومع تحدى الدارسين يراعى الله أيضاً طريقة العوام من الناس فى التفكير ، إذ يدلهم على موضع العبرة بسهولة . وهذا هو ما يطلبه العامى . أى أن القصة مثلا مع احتوائها على ألفاظ غير عربية ، وأن أشخاصها من عالم بعيد عن العرب هى أيضاً توضح الهدف منها بسهولة. فلدارسى اللغات : الألفاظ . وللعلماء : المعانى ، يقارنوا بين ما ذكره

---

(1) Jacques de Veragine , La Legende Doree - Iraduite du Latin paris , 1929 الأساطير الذهبة

وقد بين هذا الكتاب : أن قوله تعالى « ولبثوا فى كهفهم ... الخ » خبر من الله وليس من مقول السائلين الرأه ل : دير الرهبان الدومنيكيين خلف مدينة البعوث الاسلامية بمصر وهم مستعمرلون يحبون العلم والعلماء .

القرآن ، وما جاء فى الكتب غيره وللعوام : الهدف بسهولة تامة .
خذ لذلك مثلا قصة يوسف عليه السلام . فيوسف ويعقوب والجب والعزيز والصواع والسقاية لعلماء اللغات يعرفوا من نطق الرسول لها أنه من الدارسين للغات ولما قد صح لديهم أنه كان أميا يعرفوا أن القرآن من الله وللعلماء أن يقارنوا بين ما ذكره القرآن وما جاء فى التوراة وغيرها ليروا كيف أن القرآن . بين ما كانوا فيه يختلفون ، وصحح لهم ما يعرفون . وللعوام : الهدف من جزئيات القصة حتى إن إعجابهم بها فاق الحد . إنهم يفهمون منها : أن الله واحد وأنه يتولى الصالحين ، وأنه يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس وهكذا .

ومع تحدى الدارسين بالخفى من العلم تجد من السمات البارزة مع التحدى الإيجاز فى مايستحق الإيجاز والإطناب فى ما يستحق الإطناب خذ لذلك مثلا « غلبت الروم فى أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، فى بضع سنين . لله الأمر من قبل ومن بعد . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » ( الروم ٢ — ٣ ) لقد دل بهذا القدر على زمن المعركة ، ومكان المعركة ، والفريقين المتصارعين ، والفريق الثالث الذى سيقف على أنقاض الفريقين . إن هزيمة الروم تدل الدارس أن يبحث عن الذى هزم الروم ؟ والذى هزم الروم ليس فى أى مكان ، بل فى أقصى الأرض . ومن الذى جاء بعد بضع سنين على أنقاض الفريقين ؟ سوف ترى الفريق الغالب هم : الفرس . وأقصى الأرض : بلاد الشام .

والفريق الثالث : هم المسلمون وذلك فى بدء الإسلام . وهذا إيجاز بديع من القرآن . لو كان بأسلوب مطول لما كان مقبولا . لأن كتب التواريخ مجمعة عليه . وقد فصلت هذا الأمر تفصيلا .

وفى قول القرآن عن أصحاب الفيل « ألم يجعل كيدهم فى تضليل » ؟ ( الفيل ٢ ) أشار بهذه الكلمات إلى حقيقة تاريخية معروفة تمام المعرفة للدارسين . لقد أراد النصارى احتلال مكة لقتل النبى ﷺ حين يولد ، اعتماداً على ما جاء فى الإصحاح التاسع من سفر دانيال . كما كان يقتل فرعون ذكور بنى إسرائيل وتذرعوا بسبب وهمى وهو : أن عربيا أحدث فى كنيسة صنعاء ، أو رفقة من العرب أوقدوا ناراً لطعامهم فتطاير شرر إلى كنيسة صنعاء أو إلى كنيسة الحبشة فاحترقت . وماذا كانت النتيجة ؟ هلك الجيش ، وبعث النبى ، ورد الله كيدهم إلى نحورهم .

والكلمة الواحدة من القرآن لها وزنها وثقلها . ينص القرآن على أن سفينة نوح استوت على جبل الجودى « استوت على الجودى » ( هود ٤٤ ) وهو بهذه الكلمة يكذب التوراة العبرية واليونانية فى أنه « أراراط » بدليل :

١ — شك المفسرين من أهل الكتاب فى أنه أراراط ٢ — أن الناس من بعد نوح ارتحلوا شرقا ، وحدث فى ارتحالهم شرقا أنهم وجدوا بقعة فى أرض شنعار ؛ وسكنوا هناك ، ( تكوين ١١ : ٢ )

وأرض شنعار هى كل أرض بلاد فارس ما بين دجلة والفرات(١) فلو كانت السفينة فى أراراط لكانت شِنعار فى الغرب لأن أراراط فى بلاد أرمينية .

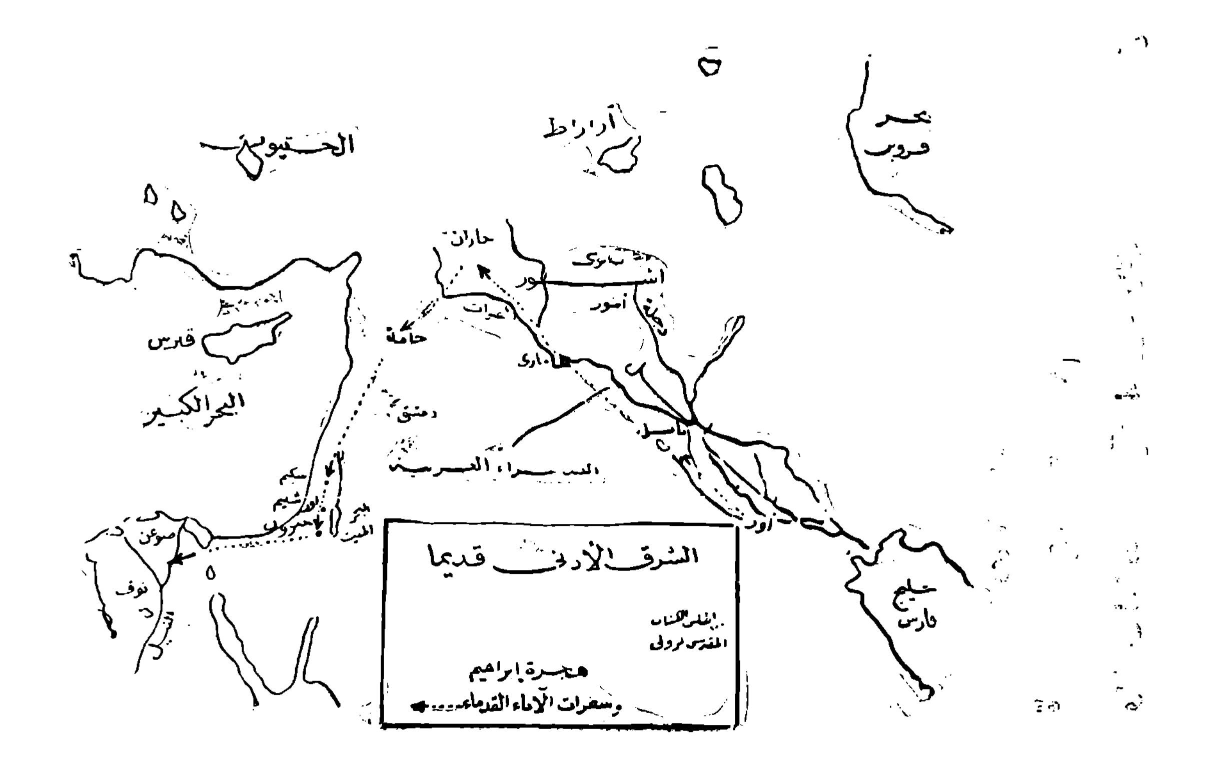
والصواب أن الجودى جبل من جبال بلاد العرب بدليل ارتحالهم إلى الشرق إلى شنعار ، وبدليل ما جاء فى التفاسير يقول مفسرو التوارة فى ( تك ٨ : ٤ ) « أراراط : قال بعضهم فى الآية الثانية من الإصحاح الحادى عشر إن أولاد نوح سافروا إلى شنعار ، وترجمه بعضهم « من الشرق » وعلى هذا لايكون أراراط هو جبل أراراط المعروف فى إرمينية ، والكلمة الأشورية تعنى أرضاذات تلال أو نجد فيصح أن يكون أراراط نجدا من الأنجاد » وفى موضع ( تك ١١:٢ ) كتب المفسرون « وجاء فى النبأ الكلدانى أن السيفنة استقرت على جبل نيزيز أو نزير . أو الوَند . شرق أشور ومع أن اراراط يمكن أن يكون أريويرات ( أى أرض مقدسة(٢) ) يصعب بيان نقل إسم الوند إلى أرمينة بل يتعذر(٣) » وقولهم يمكن أن يكون : أريويرات أى أرض مقدسة يدل على أرض العرب ففيها المكان المقدس ، الكعبة

---

(١) ص ١٠٣ السنن القويم .

(١) ما بين القوسين من كلام مفسرى التوراة .

(٢) ص ٨٢ ، ١٠٣ السنين القويم .



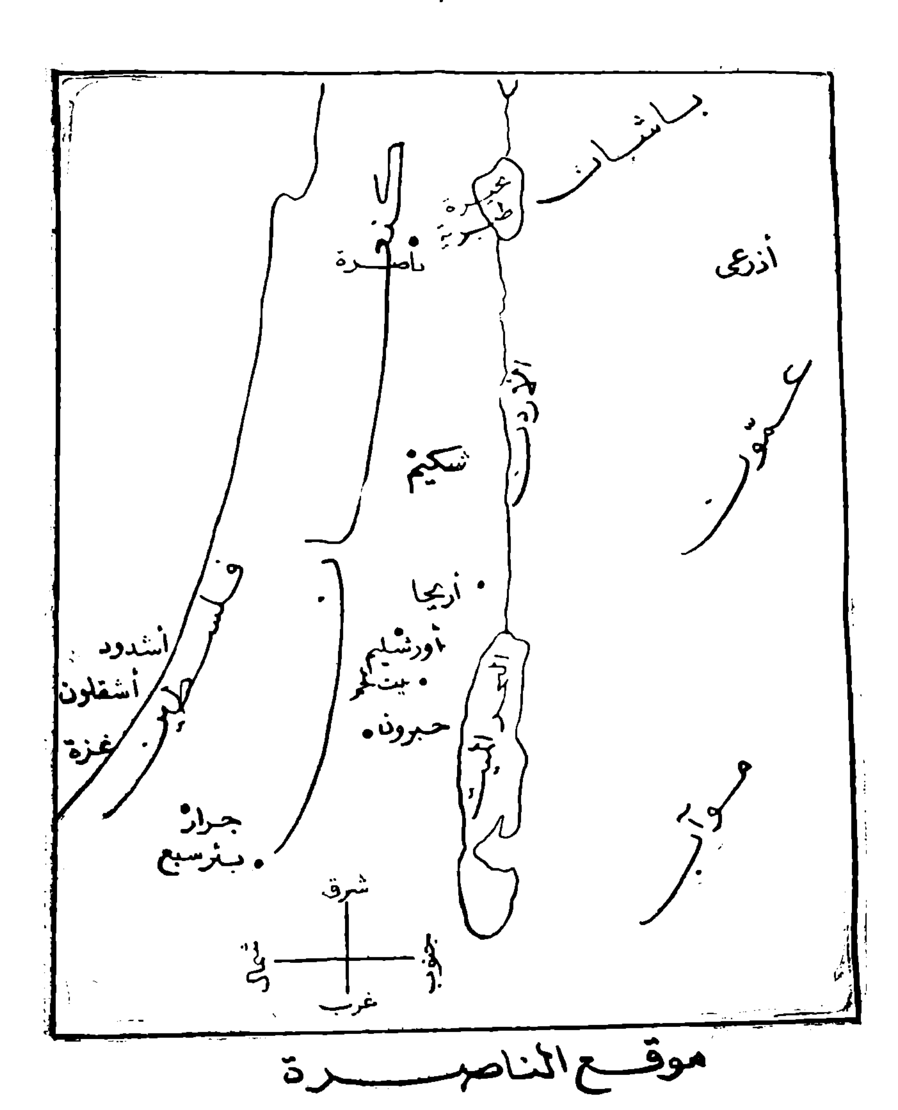
الشرق الأدنى قديما
أطلس الكتاب المقدس لرولى
هجرة إبراهيم
وسفرات الآباء القدماء
الحثيون
أراراط
بحر قزوين
خليج فارس
البحر الكبير
قبرص
حاران
حامة
دمشق
الصحراء العربية
ماري
أشور
نينوى
بابل
أور
صوعن
نوف
النيل
شكيم
أورشليم
حبرون
البحر الميت

المكرمة . ولو كانت الأرض المقدسة بلاد الشام لهلل أهـــل الكتاب وكبروا .

وهم لم يقولوا بذلك لأن أرض شنعار ليست إلى الشرق من بلادهم والقرآن ذكر « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » ( آل عمران ٩٦ ) والتوراة ذكرت « وبنى نوح مذبحاً للرب ، وأخذ من كل البهائم الطاهرة ، ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح » ( تك ٨ : ٢٠ ) لماذا لا يكون بناء نوح هو أول بيت وضع للناس ويكون استقرار السفينة فى أرض العرب ؟

وينص القرآن بكلمة « شرقيا » وكلمة « قصيا » على نقد المعروف عند النصارى . ان مريم رضى الله عنها كانت تعيش مع قومها فى مدينة حبرون ، ثم ذهبت إلى أورشليم ( القدس ) فى هيـــكل سليمان لأنها كانت منـــذورة ، وأورشليم جهة الشرق من حبرون ( مدينة الخليل الآن ) ثم لما شاء الله أن تلد رجعت إلى قومها إلى حبرون ، وهو مكان أسفل أورشليم . والنصارى يقولون إنها كانت فى الناصرة وعليه تكون أورشليم فى الغرب ، وقـــد كذبهم القرآن والإنجيل والتوراة ، فإن الناصرة من نصيب سبط زبولون ، وهم من يهود السامرة ، وهى من قوم لاوى الذين يسكنون فى أرض يهوذا ( جبل يهوذا ) ( لوقا ١ : ٣٩ يشوع ٢١ : ١٣ — ١٩ ) .

والحرف الواحد من القرآن له وزنه وثقله . إنه يؤدى معنى




موقع الناصرة

كبيراً خذ لذلك مثلا « وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين » فإن « الواو » فى هذه الآية أفادت أن المبشر به ثانياً هـو اسحق ولو جاءت الآية بدون الواو لأفادت أن المبشر به أولا هو نفسه المبشر به ثانياً على سبيل البدل كما يقول علماء النحو . فالواو جعلت المبشر به أولا ، وهو إسماعيل غير المبشر به ثانياً وهو إسحق . ولو لم تكن الواو لأمكن القول أن الذبيح إسحق كما يقول أهل الكتاب جميعاً . وقد كذبهم القرآن والتوارة والإنجيل . ففى القرآن عن إبراهيم وابنيه « فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعى قال : يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى . . . إلخ » ولما فرغ من قصة الغلام الذبيح قال « وبشرناه بإسحق » فدل ذلك على أن المبشر به ثانياً غير المبشر به أولا . وأكد ذلك بقـوله « وباركنا عليه وعلى إسحق » أى باركنا على إسماعيل وإسحق عليهما السلام « ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين » [ الصافات ٩٩ — ١١٣ ] وفى التوراة « إن الله امتحن إبراهيم فقال له : يا إبراهيم . فقال هاأنذا فقال : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحق » [ تكوين ٢٢ : ١ — ٢ ] لقد تعمد الكاتب لبس الحق بالباطل . فإن الابن الوحيد الذى لم يكن لإبراهيم غيره فى ذلك الوقت هو إسماعيل . وقد ولد قبل إسحق بأربعة عشر عاما . ولفظ « إسحق » موضوع . وفى إنجيل برنابا يقول عيسى لتلاميذه « الحق أقول لكم : إنكم إذا أعملتم النظر فى كلام الملاك جبريل . تعلمون خبث كتبتنا وفقهائنا لأن الملاك قال يا إبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله ؟ ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله ؟ حقا

يجب عليك أن تفعل شيئا لأجل محبة الله . أجاب إبراهيم : هاهو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله . فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلا : خذ ابنك بكرك إسماعيل ، واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة . فكيف يكون إسحق البكر ، وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين ؟ » [ برنابا ٤٣ : ٢٠ — ٢١ / ٤٤ : ١ — ١١ ] وفى التوراة العبرية : كان ابن أربعة عشر [ تكوين ١٧ : ٢٥ ]

وأبرز شاهد على الإطناب فى القرآن الحديث عن موسى وبنى إسرائيل ، وسبب ذلك : أن دعوة موسى عليه السلام كانت عالمية مثل دعوة الإسلام سواء بسواء(١) ولما حرف بنو إسرائيل التوراة وغيروها تغييراً ، وقصروا الشريعة على جنسهم واستبعدوا الأمم من الدخول فى دينهم بعث الله نبى الإسلام ﷺ للعرب وللعالم فنسخ كتاب موسى ، بالقرآن تخفيفا وهدى ورحمة وكرر الحديث عن موسى وقومه لأنهم أصحاب الشريعة القديمة « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير » ( آل عمران ٢٦ ) يقول الإمام محمود بن عمر الزمخشرى صاحب الكشاف فى تفسير قوله تعالى « وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس » ( آل عمران ٣ — ٤ ) إن افظ

(١) ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله ( البقرة ٢٤٦ — ٠٠٠ )

« الناس » يفيد العموم عند فريق من العلماء : « ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا ، فسره على العموم » .

ويقول الدكتور فيليب حتى ، والدكتور إدوارد جرجى ، والدكتور جبرائيل جبور ، مؤلفو تاريخ العرب المطول : وفى أيام نحميا (٢ : ١٩ ، ٤ : ٧) فى متوسط القرن الخامس قبل الميلاد كان اليهود قد أخذوا يحسبون جيرانهم الذين يسكنون الجنوب الشرقى منهم أعداء لهم ، وهذا يفسر لنا سر قصر اليهود الدعوة على جنسهم ، واستبعاد الأمم من الدخول فى دينهم ، ومنهم العرب أيام عزرا ونحميا(١) » وفى التوراة مكتوب « مثلكم يكون مثل الغريب أمام الرب ، شريعة واحدة ، وحكم واحد » ( عدد ١٥ : ١٦ ) .

* * *     * * *     * * *

ومع تحدى الدارسين بالخفى من العلم تجد من السمات البارزة مع التحدى الإيجاز فى ما يستحق الإيجاز على طريقة خاصة للعرب فى التعبير مثال ذلك « يا أخت هرون » ( مريم ٢٩ ) فقد بين النبى أن مريم رضى الله عنها تنتسب إلى هرون عليه السلام ، أى أنه جدها الأعلى ، رئيس العائلة وبيان ذلك

أمر الله بنى إسرائيل فى التوراة أن يتزوج كل رجل من سبطه ،

---

(١) ص ٥٠ تاريخ العرب المطول — دار الكشاف فى بيروت ١٩٥٨ م

وكل امرأة تتزوج فى سبطها، فمن كان من سبط يهوذا لا يتزوج من سبط لاوى وهكذا « وكل بنت ورثت نصيبا من أسباط بنى إسرائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها » (عدد ٣٦ : ٨) وقد احترم كثير من اليهود هذا التشريع حتى أن زكريا عليه السلام، وهو من نسل هرون من سبط لاوى تزوج اليصابات وهى من نسل هرون أى من أسرته « كان فى أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا، وامرأته من بنات هرون، واسمها اليصابات » (لوقا ١ : ٥) ومريم رضى الله عنها أخت لإليصابات وقد جاءها جبريل عليه السلام فى هيكل سليمان(١) بأورشليم وبشرها بولادة عيسى عليه السلام بدون رجل « فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا ؟ فأجاب الملاك وقال لها، هو ذا إليصابات نسيبتك هى أيضاً حبلى بابن فى شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً . لأنه ليس شىء غير ممكن لدى الله » (لوقا ١ : ٣٤ — ٣٧) فاما ثبت أن مريم نسيبة لإليصابات يثبت أن مريم من نفس السبط الذى منه اليصابات . ولما كانت اليصابات من بنات هرون فإن مريم تكون من بنات هرون .

---

(١) يقول النصارى ان مريم خرجت من الهيكل فى سن الرابعة عشرة ثم ذهبت الى بيت خطيبها وجاءها الملاك فى بيت خطيبها بالبشارة . ولو كان كلامهم صحيحا ما قالوا لما ولدت « ما كان أبوك امرأ سوء ... » اذ ربما يكون الحمل من الخطيب نفسه وتبطل المعجزة فى نظر الربانيين والأحبار على جهة الخصوص .

وقد روى عن الرسول ﷺ « إنما عنوا هرون النبي ، وكانت من أعقابه فى طبقة الاخوة ، وبينهما وبينه ألف سنة وأ كثر » وعن السدى: كانت من أولاده وإنما قيل يا أخت هرون كما يقال يا أخا همدان أى ياواحدا منهم [ أنظر : تفسير الكشاف فى سورة مريم ]

والنصارى إلى الآن يقولون : إن مريم من سبط يهوذا ، من نسل داود عليه السلام ، أنظر كيف كذبهم هذا النبي الأمى ، بما هو مكتوب عندهم ومن الخفى الذى لا يدرك بسهولة ، وعبر بصيغة يفهمها العرب .

وهذا الذى هو فى القرآن اعترف به بعض النصارى . وورد صريحا فى الأناجيل القديمة التى يسمونها الابوكريفا «وقال اكستاين إنه صرح فى بعض الكتب التى كانت توجد فى عهده ( إن مريم من قوم لاوى ) وهذا ينافى كونها من أولاد ناثان ، وإذا لاحظنا ما وقع فى الباب السادس والثلاثين من سفر العدد أن كل رجل يتزوج بامرأة من سبطه وقبيلته ، وكذلك كل امرأة تتزوج برجل من سبطها وقبيلتها ليثبت الميراث فى القبائل ولا تختلط الأسباط بعضها ببعض ، وما وقع فى الباب الأول من إنجيل لوقا أن زوجة زكريا كانت من بنات هرون ومريم كانت قريبة لها ، ظهر أن الحق ما وقع فى بعض الكتب لأن مريم كانت قريبة لزوجة يحيى ، وهذه كانت من بنات هرون قطعاً فتكون مريم من بنات هرون أيضاً وإذا كانت كذلك كان زوجها المزعوم أيضاً من أولاد هارون بحكم التوراة »

ويكون بيان كل من الإنجيلين ( متى ولوقا ) غلطا من جعليات أهل التثليث ليثبت أن عيسى كان من أولاد داوود ، ولا يطعن اليهود فى كونه مسيحاً موعوداً لأجل هذا » .

واسم مريم كان أسما مقبولا عند بنى إسرائيل ، وكانوا يسمون به كثيرا ، تبركا باسم مريم أخت موسى وهرون عليهما السلام .

وقد وقع فى هذا الخطأ مؤلف الفن القصصى فى القرآن الكريم إذ روى عن أحد المبشرين طعناً فى القرآن مستدلا بهذا الموضع ، ثم سلم له بالطعن مبيناً أن القرآن يهدف إلى الفن الأدبى بغض النظر عن كون ما فيه من قصص حقائق أم لا .

وما درى مؤلف الفن القصصى أن هذا المبشر يعرف جيدا أن مريم من بنات هرون ، ولكنه مجاراة للنصارى ينكر الحق ، أنا متأكد أن هذا المبشر يعرف جيدا . لأن الإستدلالات التى ذكرها تدل على بصره بالكتاب المقدس .

وسأنقل هنا كلام المبشر وتعقيب مؤلف الفن عليه بالنص

« ويشرح المبشرون مسألة مريم السابقة فيقولون : ( قصة مريم - ورد فى سورة مريم الآية : فأتت به قومها تحمله ، قالوا يامريم : لقد جئت شيئاً فريا ، يا أخت هرون ، ما كان أبوك امرأ سوء . . ألخ .

فيتضح من هذه الآية أن محمداً كان يرى أن مريم كانت أخت هرون أخى موسى ، ومما يزيد الأمر وضوحا وجلاء ما ورد فى سورة التحريم ونصه « مريم ابنة عمران » وهذا مذكور أيضاً فى سورة آل عمران « إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محررا . . ألخ » . وفى سورة الفرقان ونصه « ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا » فثبت من ذلك أن عمران وموسى وهارون ومريم هم ذوات الأشخاص الذين ورد ذكرهم بهذه الأسماء فى خمسة أسفار موسى غاية الامر أن ورد فى التوراة عمرام عوضا عن عمران .

وورد فى سفر العدد الإصحاح ٢٦ الاية ٥٩ ما نصه « واسم امرأة عمرام يوكابد بنت لاوى التى ولدت للاوى فى مصر ، فولدت لعمران: هارون وموسى ومريم أختهما » .

وورد فى الخروج أيضاً الإصحاح ١٥ الآية ٢٠ أن مريم النبية كانت أخت هارون ، كما رأينا فى سورة مريم حيث قيل « يامريم . . يا أخت هرون » فلا شك أن محمدا توهم أن مريم أخت هارون التى كانت أيضا ابنة عمرام « أى عمران » هى نفس مريم التى صارت أم

يسوع — المسيح عيسى — بعد ذلك بنحو ألف وخمسمائة وسبعين سنة ، وهذا القول يشبه الرواية الواردة فى الشاهنامة . آلخ .

وربما كان سبب هذا الغلط أنه ورد فى إحدى خرافات اليهود كلام بخصوص مريم أخت هارون نصه « إن ملاك الموت لم يتسلط عليها ، بل ماتت بقبلة إلهية ، ولم يتسلط عليها الدود ولا الحشرات » .

وعلى كل حال فهذا خطأ جسيم ، لأنه لم يقل أحد من اليهود أن مريم هذه بقيت على قيد الحياة إلى أيام المسيح »[١] انتهى كلام المبشر كما ذكره المؤلف ، ويعلق عليه بما نصه « هذه الأقوال ، وكثير غيرها قصد اليها المبشرون والملاحدة ليثبتوا للناس أن القرآن من عند محمد . لأنه لو كان من عند الله لما وجدت فيه هذه الأخطاء التاريخية ، وهذه الأقوال وكثير غيرها إنما كانت لأن المسلمين أنفسهم قد حرصوا الحرص كله على فهم القصص القرآنى على أساس من التاريخ ولو أنهم أعرضوا عن هذا الأساس وحاولوا فهم القرآن على أساس من الفن الادبى لأغلقوا هذا الباب الذى جاء منه الريح ، ولسدوا على المشركين والمبشرين السبل وحالوا بينهم وبين الطعن فى النبى ﷺ وفى القرآن الكريم »[٢] .

---

(١) مصادر الإسلام ١٠٢ — ١٠٤

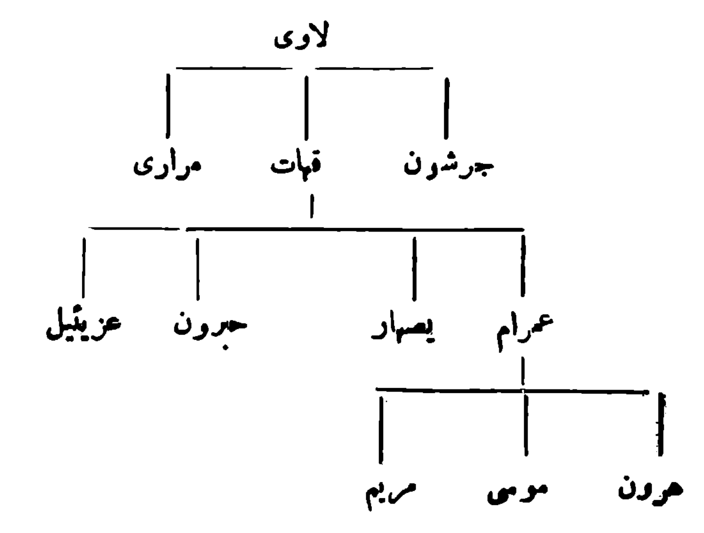
(٢) ص ٢٦ — ٢٨ الفن القصصى فى القرآن الكريم .

كان ينبغى أن يقول : على المسلمين البحث الدائب فى الكتب ليعرفوا أسرار الإعجاز ، لا أن يقول : على المسلمين أن يغطوا فى فى سبات عميق ، طاردين الأعداء بالفن الأدبى ، وهل للأعاجم أذواق لتفهم الفن الأدبى ؟ .

وإليك بيان النسب فى التوراة :

أنجب يعقوب عليه السلام اثنى عشر ولداً هم وذريتهم المسمون بالأسباط وهم :

رأوبين — شمعون — لاوى — يهوذا — زبولون — يساكر — دان — جاد — أشير — نفتالى — يوسف — بنيامين



من ذرية هارون كانت مريم أم عيسى عليه السلام . فهي تنتسب إلى لاوى ، لا إلى يهوذا لكن لماذا غير النصارى نسب عيسى من هارون إلى داود ؟ إذا عرفت السبب تعرف أن « يا أخت هرون » هدمت النصرانية من أساسها .

إن الله وعد بنى إسرائيل بنبي من بين إخوتهم ، أى من بنى إسماعيل عليه السلام [ أنظر التثنية ١٨ : ١٥ — ٢٢ ] فلما ذهب بنو إسرائيل إلى بابل اتفقوا على أن يدعوا أن هذا النبي الآتى سيكون منهم هم . ولما رجعوا اختلفوا . فالسامريون قالوا سيكون من سبط يوسف عليه السلام والعبرانيون قالوا سيكون من سبط يهوذا من ذرية داود عليه السلام لأن مؤسس دولة العبرانيين فى اورشليم هو داود . ولما جاء عيسى وبين لهم أن النبي الآتى من بنى إسماعيل كرهوا ذلك منه . ثم بعد رفعه إلى السماء ادعوا أن عيسى كان من سبط يهوذا من آل داود وأنه هو النبى الآتى . ولا نبي بعده إلى يوم القيامة .

✲ ✲ ✲ ✲ ✲ ✲ ✲ ✲ ✲

ومع تحدى الدارسين بالخفى من العلم نجد من السمات البارزة مع التحدى ما كان من المسائل الكبرى الشائعة فى العالم والتى ستظل شائعة سواء فى المسائل الكبرى ما كان ظاهراً للناس أو مستتراً . ليظل الإعجاز إلى الأبد .

فمثلا تجد فرق النصارى قبل الاسلام كثيرة جداً كثرة هائلة . ولكن القرآن أشار إلى فرقتين اثنتين فقط هما : الأرثوذكس . نصارى الشرق ، والكاثوليك ، نصارى الغرب وبين الفرقتين صراع مرير ، ولم يكن ظاهراً زمن الاسلام إلاهما ، والفرق الأخرى مناوئة لهما أو متشعبة عنهما وهى فرق ضعيفة بادت واندثرت « لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح بن مريم » ( المائدة ٧٢ ) « لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة » ( المائدة ٧٢ ) والفرقتان تعترفان معاً بالوهية مريم رضى الله عنها لأنها أم الإله فى نظرهم وقد ذكر الشرق أولا لأنهم أقرب الناس إلى بلاد العرب . وتجد عندهم قسيسين ورهبانا ( المائدة ٨٢ ) وما يزال هذا قائماً . وقد حدثتنى نفسى ذات يوم أن أجرب صدق القرآن فى فسق الرهبان ( الحديد ٢٧ ) فسألت مستشرقا فرنسياً من الرهبان : هل فى فرنسا أديرة كمصر ؟ قال : أجل : قلت : أيوجد فرق بين أديرة فرنسا واديرة مصر ؟ قال : لقد طفت أنا شخصياً بكثير من الأديرة ، ونزلت ضيفاً لمدة طويلة . وليس ثمة فرق يذكر . قلت : هل يوجد اختلاط فى الأديرة بين الرهبان والراهبات ؟ قال : أجل . قلت : ألم تشاهد اختلاطاً محرماً ؟ قال : لم أشاهد . ولكنه شائع ومشهور . ولا يمكن إنكاره . ألا تقرأ فى الكتب أن فرامرينو الذى تقول إنه سارق إنجيل برنابا كان ميالا لسرقة أعراض الراهبات ؟ .

ولو نظرت إلى نصارى الشرق والغرب القائلين بألوهية عيسى

عليه السلام وكثرتهم فى كل مكان تجد أنه ما كان يمكن مع هذه الكثرة أن ينطق الرسول بأن الله واحد وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وأن يتحداهم الرسول بآيات من الإنجيل صحيح أن الإنجيل يدعو إلى وحدانية الله وأن عيسى عبد الله ورسوله . لكن هل تعقل أن يدين النصارى بألوهية عيسى وأن ينشروا هذا الرأى بالقوة والجبروت ثم يظهروا الأناجيل للناس لتدل على تناقضهم ؟ ما يمكن أن يحدث هذا بدليل أن النصارى لم يطلعوا الناس على الأناجيل إلا بعد ظهور البروتستانت فى القرن الخامس عشر وانفصالهم عن الكاثوليك وقولهم : من حق كل فرد أن يفسر الكتاب المقدس دون التقيد بآراء الكهنة . وما يزالون إلى يومنا هذا مع الكاثوليك فى ألوهية عيسى .

ونطق الرسول بأن الله واحد ، وأن عيسى حينما كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى ... إلخ كان يفعل ذلك بإذن الله دليل على أنه يتحدى ليس بالشائع من العلم ، بل بالخفى من العلم ، الخفى الذى لم يكن بلغة العرب ، ولم يكن باللغة العبريه لغة اليهود فى يثرب وإنما الخفى بلغة اليونان . لأن الأناجيل المتداولة مترجمة عن اليونانية رأسا ، والأصل العبرى مفقود . خذ لذلك مثلا قوله تعالى « إذ قال الله يا عيسى بن مريم : اذكر نعمتى عليك ، وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس ، تكلم الناس فى المهد وكهلا ، وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى . فتنفخ

فيها فتكون طيرا بإذنى ، وتبرىء الأكمه والأبرص بإذنى ، وإذ تخرج الموتى بإذنى ، وإذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين » ( المائدة ١١٠ ) .

فى إنجيل يوحنا أن يهودياً اسمه : لعازر كان قد مات وكان هو وأختيه مريم ومرثا على صلة طيبة بعيسى عليه السلام فذهب ليعزى الأسرة ، فقالت مرثا ليسوع . ياسيد ، لو كنت ههنا لم يمت أخى ، لكنى الآن أيضاً أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه . قال لها يسوع سيقوم أخوك فقالت له مرثا : أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة فى اليوم الأخير ، أنظر قولها « أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه » أليس هذا يدل على أن عيسى كان يفعل ما يفعل بإذن الله ؟ ثم يقول يوحنا إن عيسى « جاء إلى القبر ، وكان مغارة ، وقد وضع عليه حجر . قال يسوع : ارفعوا الحجر . قالت له مرثا ، أخت الميت : ياسيد قد أنتن لأن له أربعة أيام ، قال لها يسوع ألم أقل لك : إنه آمنت ترين مجد الله . فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ، ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى . وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى . ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت : ليؤمنوا أنك أرسلتنى ، ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : لعازر هلم خارجا فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل ، فقال لهم يسوع : حلوه ودعوه يذهب . فكثيرون من اليهود

الذين جاءوا إلى مريم ، ونظروا ما فعل يسوع آمنوا به » ( يوحنا ١١ ) لو تأملت فى قول يوحنا « أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى . وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى ، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى » لو تأملت ماذا ترى ؟ ألست ترى أنه كان يفعل ما يفعل بإذن الله ، وما يفعله هـو ليؤمن الناس إنه رسول من الله ؟ .

... ... ...

وتحدى الدارسين بالخفى من العلم، كما هو للجميع هو على جهة الخصوص لبنى إسرائيل . إن الله أعطاهم النبوة والكتاب وأمرهم أن ينطلقوا إلى العالم أجمع بالدعوة إلى الله والعمل بالتوراة ، وأن يسيروا على سنة موسى وأخيه فقد حكى القرآن عنهما « وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة ، وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين » ( يونس ٨٧ ) ولكن بنى إسرائيل أهملوا الأمم ومنهم العرب من زمن بابل سنة ٥٨٦ ق . م أى أنه إلى زمن ظهور الرسول ﷺ سنة ٥٧٠ ميلادية كان العرب قد أوغلوا فى الجهل والضلال إذ لم يعرفوا الشريعة منذ اثنى عشر قرنا من الزمان .

وقد أوحى الله إلى رسوله مما فى التوراة ليغيظ بنى إسرائيل لقد حنعتم العلم حتى قتل الناس بعضهم بعضا فما هو العلم . خذ لذلك مثلا قوله تعالى

« وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص » ( المائدة ٤٥ ) ونص التوراة « وإن حصلت أذية تعطي نفسا بنفس ، وعينا بعين ، وسنا بسن ويدا بيد ، ورجلا برجل ، وكيا بكي وجرحا بجرح ، ورضا برض » ( خروج ٢١ : ٢٣ — ٢٥ ) .

ولم يوح له من التشريعات ما كان خاصا بموسى ، وما هو مطالب به نبي الإسلام والذين معه ، بل أوحى إليه من القديم الموغل في القدم من التشريعات التي كانت خاصة بنوح ومن آمن معه لمزيد من التحدى « وبارك الله نوحا . وقال لهم : أثمروا وا كثروا ، واملأوا الارض ، ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض ، كل طيور السماء ، مع كل ما يدب على الارض وكل أسماك البحر قد دفعت إلى أيديكم ، كل دابة حية تكون لكم طعاما كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع » ( تكوين ٩ : ١ — ٣ ) .

وهذا يعني أن كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل لأنه حلال منذ عهد نوح . وذات يوم اقتتل إسرائيل ( يعقوب ) عليه السلام مع ملاك الله[1] . فضرب الملاك يعقوب على حق فخذه فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب

---

(١) هوشع ١٢ : ٢ — ٤ )

حق فخذه ، فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه . . . لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذى على حق الفخذ إلى هذا اليوم لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا » ( تكوين ٣٢ : ٢٤ — ٣٢ ) يقول تعالى « كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » ( آل عمران ٩٣ ) ونوح كان قبل نزول التوراة كان سنة ٢٩٤٨ ق . م ويعقوب قبل نزول التوراة كان سنة ١٨٣٧ ق . م وموسى كان سنة ١٥٧١ ق . م أى أن نوح كان قبل موسى بنحو ١٢٧٧ سنة ، ويعقوب كان قبل موسى بنحو ٢٦٦ سنة .

٥٥٥ ٥٥٥ ٥٥٥

ومن أمثلة التحدى لبنى إسرائيل أن اللفظ العبرى يكون غير واضح الدلالة على المعنى المراد فاذا ما ترجم إلى لغة غير عبرية اختلف المترجمون فيه فالله عز وجل يوحى إلى نبيه المعنى المراد .

مثال ذلك « فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم » ( الاعراف ١٣٣ ) يقول مفسرو التوراة « أجمع المفسرون القدماء وجمهور المحدثين على أن الضربة الثانية هى الضفادع ، واتفقت على ذلك التراجم القديمة ، لكن بعض المحدثين رأى أنها التماسح وهو رأى باطل . . . اختلف العلماء فى الضربة الثالثة فقال بعضهم إنها ضربة

القمل ، وقال بعضهم إنها ضربة البعوض ، وذهب يوسيفوس واليهود إلى القول الاول . وذهب إلى الثانى مترجمو السبعينية والفلغاتا . وقيلو وأرتابانوس وأوريجانوس والقـــديس أو غسطينوس فى الأزمنة القديمة . وروسنمولر وميخالس وسرمان وجيسينيوس فى الأزمنة الحديثة . والكلمة العبرانية « كينيم » ورسمها « كنم » واسم البعوض فى اللغة المصرية القديمة « كينيم » أو خينيم ، على ما قال برغش وهذا يرجح أن اللفظة مصرية ، فلم يبق الأمر ذا شأن فى قول يوسيفوس واليهود بخلاف مالو كانت عبرانية » .

ومن العجيب أن علماء المسلمين لم ينتبهوا إلى هذا النوع من التحدى فعدوا هذا من قبيل البيان من قبيل « سهولة ويسر » وعذوبة ألفاظ القرآن ووقوعها على السمع فى اتساق وانسجام » يقول صاحب إعجاز القرآن البيانى نقلا عن المثل السائر « ومثـــله لفظه « القمل » فى قوله تعالى « فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم » تقدمت منها لفظتان هما أخفها وأحسنها ، وأخرت لفظة الدم ، وجعلت لفظة القمل والضفادع فى الوسط ليكون أول ما يطرق السمع : اللفظ الحسن ولما كانت لفظة الدم أحسن وأخف من لفظتى الطوفان والجراد جىء بها آخرا . ومراعاة هذه الأسرار والدقائق فى استعمال الألفاظ ليس من القدرة البشرية ، ولهذا جاءت هذه اللفظة نابية قاقة فى قول الفرزدق :

من عزه احتجزت كليب عنده    زربا كأنهم لديه القمل

لأنها غير مندرجة ، وانقطع الكلام عندما(١) » .

وكلام العلماء بديع للغاية وقد اهتدوا إليه بالفطرة . وأبدع منه مما سبق بيانه وما يلي :

( ا ) أن هذه الآيات الخمس ضمن الآيات التسع وترتيبهم فى التوراة والقرآن هكذا :

| | | |
|---|---|---|
| (٥) | ١ | الدم |
| (٤) | ٢ | الضفادع |
| (٣) | ٣ | القمل |
| | ٤ | الذبان |
| | ٥ | ألوبأ |
| | ٦ | الدمامل |
| (١) | ٧ | الطوفان |
| (٢) | ٨ | الجراد |
| | ٩ | الظلام ثلاثة أيام |

فالقرآن جعل الآية السابعة هى الأولى والثامنة هى الثانية ، ثم

---

(١) المثل السائر ١ : ٧٥ نقلا عن إعجاز القرآن البيانى بين النظرية والتطبيق ص ٢٢٨ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر سنة ١٩٧٠

ذكر ثلاث آيات من الأدنى إلى الأعلى فصارت آية « القمل » فى الوسط بين اثنتين من تحت ، واثنتين من أعلى كما ترى .

(ب) ولماذا هذا الترتيب من القرآن ؟ والإجابة : أنقلها من تفسير التوراة ، يقول مفسرو التوراة عن الطوفان ويسمونه البَرَد أيضا « والضربات ليست مرتبة من الأدنى إلى الأعلى كسلسلة صاعدة لكن فيها ما يشبه ذلك فى بعض الإعتبارات ، فإن الضربات الأولى كانت مؤلمة أكثر من كونها ضارة ، والتى تلتها كان منها خسارة الأملاك ، وما بعدها كانت فيها يد الله على الناس للإضرار لا للإهلاك . والأخيرة كانت بها فقدان الحياة وكانت الضربة السابعة هائلة للمصريين عجيبة غريبة لأن وقوع المطر والبرد نادر فى تلك الأرض ، وكان ذلك البرد مما لم يعهد له نظير فى مقدار حجمه ، فكان كافيا لأن يقتل الناس والبهائم وكان مصحوبا برعد ونار ، وكانت النار متواصلة فى وسط البرد ، وجرت النار على الأرض ، فدل ذلك على نشوء سيال كهربائى غير معتاد .

فلا عجب من أن هذه الضربة كانت سهما نافذا من كبرياء فرعون وجبرة له عن الإعتراف بأثمه ، وببر الله والتسليم بإطلاق الإسرائيليين » ويقولون عن الجراد « فالمصريون بعد أن خسروا مواشيهم على إختلاف أنواعها بضربة موت البهائم وكتانهم وشعيرهم بالبرد ( الطوفان ) لم يبق

لإتمام خرابهم إلا الجراد فأتى وأكل من جملة ما أكله ، القطانى ولاسيما الذرة » ويقولون عن الدم « كانت الضربة شديدة جــدا ومجموع ضربات . فإنهم كانوا يؤلهون النيل ويعبدونه فأفسده موسى ، وما قيمة إله يفسد وما حال عبدته إذا رأوه كذلك ، وأنهم كانوا فى أشد الحاجة إلى النيل لحياتهم وحياة بهائمهم وزروعهم وسائر نباتاتهم ؟ وأن النهر الذى اتخذوه وسيلة إهلاك لأبناء الإسرائيليين صار وسيلة إهلاك لهم فكان الجزاء من جنس العمل ، وأنهم كانوا يتغذون بسمكه ففسد السمك وأنتن ، وكانوا يترنمون له بالأناشيد فأصبحوا ينوحون عليه(١) » .

فأنت ترى أن ما ذكره القرآن هو من أعنف الضربات على المصريين وقد وضح لك ما فى التحدى بالآيات التسع من إعجاز ، يقول تعالى « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسئل بنى إسرائيل إذ جاءهم ، فقال له فرعون إنى لا أظنك يا موسى مسحورا ، قال : لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض ، بصائر وإنى لأظنك يافرعون مثبورا » ( الإسراء ١٠١ — ١٠٢ ) .

٭٭٭ ٭٭٭ ٭٭٭

---

( ١ ) السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم المجلد الأول ( إصحاح ٧ من الخروج ) طبعة بيروت سنة ١٩٧٣

ومن أمثلة التحـــدى لبنى إسرائيل أن اللفظ العبرى يكون له مترادفات ، فيذكر القرآن اللفظ بمترادفاته مثل : الحية والثعبان ، ذكرت التوراة فى موضع أن العصا تصير حية ، وفى موضع آخر ثعبانا، وقد ذكر القرآن نفس الموضعين والموضع الذى ذكر فيه القرآن أن العصا صارت حية هو نفس الموضع الذى ذكرته التوراة ، والموضع الذى ذكر فيه القرآن أن العصا صارت ثعبانا هو نفسه الموضع الذى ذكرته التوراة .

لما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا فلما جاءها قال الله له « وما تلك بيمينك ياموسى ؟ قال : هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ، ولى فيها مآرب أخرى . قال ألقها ياموسى . فألقاها فإذا هى حية تسعى » ( طه ١٧ — ٢٠ ) .

فى هذا الموضع عبر الله عن العصا بالحية وفى التوراة هذا النص « فأجاب موسى وقال ولكن ها هم لا يصدقوننى ، ولا يسمعون لقولى ، بل يقولون : لم يظهر له الرب فقال له الرب ما هذه فى يدك ؟ فقال : عصا فقال : اطرحها إلى الأرض فطرحها إلى الأرض فصارت حية ، فهرب موسى منهـــا » ( خروج ٤ : ١ — ٣ ) .

ثم إن التوراة ذكرت أن موسى لما رمى العصا أمـــام فرعون صارت ثعبانا . وهو نفسه ما أشار إليه القرآن « وقال موسى يافرعون إنى رسول من رب العالمين ، حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق

قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى إسرائيل ، قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين ، فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين » ( الأعراف ١٠٤ — ١٠٧ ) .

تقول التوراة « وكلم الرب موسى وهارون قائلا : إذا كلمكما فرعون قائلا هاتيا عجيبة تقول لهرون : خذ عصاك واطرحها أمام فرعون فتصير ثعبانا فدخل موسى وهرون إلى فرعون وفعلا هكذا كما أمر الرب طرح هرون عصاه أمام فرعون وأمام عبيده فصارت ثعبانا» ( خروج ٧ : ٨ — ١٠ ) .

يقول مفسرو التوراة « نسبت العصا هنا إلى هرون لأنه كان نائبا عن موسى ومأمورا عنه ( انظر ع ١٩ وص ٨ : ١٥ — ١٧ ) . والكلمة المترجمة بالحية فى ص ٤ : ٣ غير الكلمة المترجمة بالثعبان هنا فالظاهر أنها مترادفتان ص ٤ : ٣ ) .

وقد اخترت الحية والثعبان مثلا للترادف لأصحح كلام الدكتور محمد أحمد خلف الله ، الذى حاول به نقد الأقدمين فلم يسلم هو من النقد، إنه يقول « إن القوم لو تدبروا قليلا لما احتاجوا إلى مثل هذه الوقفة ، فالقرآن فى استعماله لهذه الألفاظ إنما يقصد الى ما تثيره الألفاظ من انفعالات ، وما توحى به من عواطف ، وهو فى هذه الآيات إنما يستعمل لفظ الجان حين يقصد إلى الحديث عن موسى عليه السلام

لتصوير عاطفة الخوف وغريزة الهرب وذلك عند رؤيته العصا تتحرك ولذا نراه يتحول بعد لفظ الجان « ولى مدبرا » والجان فيما نرى مثير للخوف ينفر منه الناس ، ويولون ما أسعفتهم أرجلهم ويستعمل القرآن لفظ الثعبان أو الحية حين يقصد إلى تصوير ما حصل بين موسى والسحرة أو موسى وفرعون . وبعبارة أخرى حين لا يقصد إلى تصوير خوف موسى حين رأى العصا تهتز(١) »

إن تعليله للفظ الجان صواب ، لأن القرآن عبر بكأن التي تفيد التشبيه فى أمر ما كان موسى يألفه ، وأما الحية والثعبان فهما قد وضعا فى التوراه فى موضعين مختلفين وقد ذكرهما القرآن فى نفس موضعى التوراة « ليقولوا درست » وما كان دارسا . الموضع الاول . موسى مع الله لاول مرة ، فى سيناء . والموضع الثانى : موسى مع فرعون أو مع السحرة فى مصر ولكى أزيل ما قد يتبقى فى نفس صاحب الفن القصصى من شك فإنى أذكر له هذا المثال :

فى قصة يوسف حلم الملك حلماً ، ولما طلب من الحكماء تفسيره قالوا « أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين » وعندئذ تذكر ساقى الملك يوسف عليه السلام وذهب إليه وقص عليه حلم الملك لماذا ذكر القرآن حلم الملك مرتين وكان يغنى عن المرتين مرة واحدة ؟ وفى هذا الموضع بالذات

---

(١) ص ٥ و ١٣٨ — ٢٤٠ الفن القصصى .

إيجاز بالحذف « أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون » فأرسلوه فذهب إليه فقال له — « يوسف أيها الصديق . . . إلخ » وكان يمكن أن يقول القرآن : فأرسلوه فذهب إليه وأنباه بحلم الملك ففسره له ، أو ما أشبه ذلك . فلماذا أعاد حلم الملك مرتين ؟ والإجابة على ذلك فى الاصحاح الحادى والأربعين من سفر التكوين فى التوراة العبرية والسامرية .

* * * * * * * * *

وكان أستاذنا فضيلة الدكتور الشيخ عبدالغنى عوض الراجحى(١) يدرس لنا التفسير فى كلية اللغة العربية سنتى ١٩٦٤ و ١٩٦٥ م وكان شديد العناية بالفروق الدقيقة بين كلمات القرآن ليبين بها أن الألفاظ منتقاة ، وأن كل لفظ موضوع على المعنى بدقة وإحكام وأن هذا من الإعجاز العظيم لنبى أمى نشأ فى بيئة لا تدرى ما الكتاب ولا الإيمان. ومن ذلك الحين حبب الله إلى هذا اللون من التفسير وكنت ، والطلاب جميعاً نعجب بطريقته ونترقب محاضراته بشوق عظيم . وأذكر على طريقته المثلى :

١ — لو تأملت فى قول القرآن عن عيسى « ومصدقا لما بين يديه من التوراة » وقوله عن محمد عليهما السلام « مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » ( المائدة ٤٦ — ٤٨ ) ماذا ترى ؟ إن المسلمين

---

(١) هو الآن أمد الله فى عمره ، ونفعنا بعلمه ، عميد لكلية أصول الدين فرع جامعة الأزهر بأسيوط .

يمرون عليهما مرور الكرام . ولو علموا الفرق بين مصدقا فى حق عيسى . ومصدقا ومهيمنا فى حق محمد عليهما السلام لخروا إلى الأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا .

إن كل نبي أتى من بعد موسى عليه السلام كان يدعو الناس للعمل بشريعة التوراة(١) . وعيسى عليه السلام واحد من هؤلاء الإنبياء . ما جاء لينسخ كتاب موسى ، بل دعا الناس للعمل به . لقد قال لليهود فى موعظة الجبـــل « لا تظنوا أنى جئت لأنسخ الشريعة والأنبياء ، لم آت للنسخ بل للتكميل(٢) » ( متى ٥ : ١٧ ) وبولس يقول فى جوابه لليهود الذين يضطهدونه « أعبرانيون هم ؟ إننى لعـــبرانى أنا أيضاً . ألإسرائيليون هم ؟ إنن إسرائيلى أنا أيضا . أمن ذرية إبراهيم هم ؟ إننى لمنها أيضاً » ( ٢ كورنثس ١١ : ٢٢(٣) ) .

أما الذى نسخ الشريعة وكتب الانبياء وهيمن على الكل فهو نبي الإسلام ﷺ المعبر عن شريعته فى الإنجيل « حتى يكون الكل » فى

---

(١) الزبور : ليس ناسخا للتوراة ، ولا منسوخا من الإنجيل ، وما كان فيه احكام ، بل أدعيه وبشارات بنبي الاسلام صلى الله عليه وسلم .

(٢) الترجمة الصحيحة « بل لأصحح » . ( أنظر تفسير متى لمتى هنرى الجزء الأول ) .

(٣) النصان « لا تظنوا ... إلخ » و « أعبرانيون ... ألخ » من التوراة اليونانية أنظر « فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية » للاب : لويس غردية : والأب : جورج قنواتى — طبعة بيروت ١٩٦٧ ج ١ ص ٢٩ .

تقول المسيح « إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » [ متى ٥ : ١٧ — ... ] والذى قال عنه موسى فى التوراة « له تسمعون(١) ، من أين علم هذا النبى الأمى أن عيسى مصدقاً لما بين يديه من الكتاب . وأنه هو مكتوب عنه أنه مصدق ، ومهيمن . والحال أن النصارى إلى الآن يدعون بإرشاد من بولس أنهم قد رفع عنهم العمل بكتاب موسى ، وأن المسيح قد قتل وصلب فداء عن البشر وأن الإيمان بعيسى بدون أعمال كاف فى دخول الجنة ولا نبى بعد المسيح ؟

٢ — ولو تأملت فى قول القرآن عن عيسى عليه السلام « ورسولا إلى بنى إسرائيل » ( آل عمران ٤٩ ) وقوله للمسلمين « كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين(٢) » ( الصف ١٠ ) ماذا ترى ؟ لماذا قال لبنى إسرائيل . ثم قال لنا ونحن دعوتنا عالمية كونوا كأصحاب

---

(١) التثنية ١٨ : ١٥ — ٢٢ وهو الموضع الذى تشير إليه الآية ١٥٧ فى الأعراف وعن كون النبى مصدقا أنظر ( التثنية ١٣ ١ — ٥ ويوحنا ١٦ : ١٢ — ١٤ ) وعن كون النبى مكتوبا فى الإنجيل انظر يوحنا ١ : ١٩ — ٢٢

يقول سبينوزا الفيلسوف « أن المسيح لم ينسخ شريعة موسى مطلقا . لأنه لم يشأ وضع قوانين جديدة للمجتمع . وكان همه الوحيد : إعطاء تعاليم خلقية » ويقول هوبز « أن المسيح لم يأت بتعاليم جديدة » ( ص ٢٠٧ و ٢٤٣ رسالة فى اللاهوت والسياسة ) .

(٢) من قوم لاوى الذين منهم المسيح من جهة أمه رضى الله عنها .

عيسى الأوائل ولابد فى التشبيه هنا من المماثلة ؟ إنك ترى أن رسالة عيسى خاصة ابنى إسرائيل وهذا قد صرح به الإنجيل « لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » ( متى ١٥ : ٢٤ ) وهدفه من إرساليته إصلاح بنى إسرائيل ، وإذا صلحوا سوف ينطلقون هم إلى دعوة الأمم المنصوص عليها فى التوراة والتى أهملها اليهود من أيام وجودهم فى بابل سنة ٥٨٦ ق . م ، وقصروا الشريعة عليهم وحدهم . والحواريون قد انطلقوا لدعوة الأمم فعلا بعدما نشروا تعاليم عيسى أولا بين اليهود .

وقد مدحهم الله لذلك لأنهم علموا اليهود أولا متحملين الأذى وعلموا الأمم ثانياً . علموا الجميع أن نبى الإسلام ﷺ آت ، وعلى الجميع أن يستعدوا للقائه والدخول فى دينه « توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » ( متى ٤ : ١٧ ) « إن لم أنطلق لا يأتيكم المُعزِّى » ( يوحنا ١٦ : ٧ )(١) وهذان نصان يوضحان لك ما أردنا بيانه . قال عيسى لتلاميذه « إلى طريق أمم لا تمضوا ، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا

(١) المعزى : بضم الميم وكسر الزاى مشددة مترجمة عن الكلمة اليونانية « باراكلى طوس » والكلمة اليونانية مترجمة عن العبرية « باراقليط » والكلمة العبرية التى نطقها المسيح هى « بير قليط » وهى تترجم فى اليونانى « بيركليتوس » ومعناها : أحمد . وهذا هو الصواب لكن النصارى يقولون : إنه نطق « باراقليط » ولو كان قد نطق « بيرقليط » لآمنا بمحمد واتبعنا رسالته . أنظر كتابنا « اسم نبى الاسلام فى إنجيل عيسى عليه السلام حسب شهادة يوحنا » وكتابنا : البشارة بنبى الإسلام .

بل أذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » ( متى ١٠ : ٥ — ٦ ) « اذهبـــوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » ( مرقس ١٦ : ١٥ ) .

ومعنى الإنجيل : البشرى المفرحة بمجىء نبى الإسلام الذى وعد اليهود بمجيئه موسى ( التثنية ١٨ : ١٥ — ٢٢ ) وقد وضحنا ذلك فى كتابنا : البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل . وفى كتابنا : التوراة كتاب الله .

٣ — ولما تحدث القرآن عن تحريف أهل الكتاب بين أنه :

( ا ) لبس للحق بالباطل .

(ب) تحريف الكلم من بعد مواضعه .

(ت) تحريف للكلم عن مواضعه فما الفرق بين الأنواع الثلاثة ؟ وهل كان العرب يعرفون ذلك الفرق ؟ وهل كان الرسول ﷺ دارسا حتى يميز أنواع التحريف ؟ وهل المسلمون حتى زمنى هذا — من قبل أن أبين لهم — يعرفون هذه الأنواع ؟ وإذا كانوا لا يعرفون فى عصر العلم هذا فكيف كان العرب وكيف كان النبى يعرفون ؟ وهل الفن الأدبى هو المقصود فى قوله « من بعد » و « عن » أم المعنى هو المقصود؟ ماذا تقول ياصاحب الفن ؟

( ا ) علماء بنى إسرائيل فى بابل لما كتبوا التوراة ذكروا النص الأصلى لبعض الآيات ، ثم أضافوا عليه كلمة أو كلاما ، أو حذفوا للإبهام وغموض المعنى .

(ب) وفى بعض الآيات وضعوا كلمة تحتمل معنيين .

(ت) ولما انتشرت التوراة فى العالم ، وصعب على اليهود التحريف اللفظى ، لجأوا إلى نوع من التحريف عجيب ، وهو تأويل النصوص تأويلا فاسداً . والنوع الثانى (ب) غير موجود عند النصارى ولم يقل القرآن إنه عندهم . وهذا مثل الإيضاح :

طلب الله من موسى عليه السلام أن يجمع بنى إسرائيل ناحية جبل الطور — حوريب ليسمعوا صوت الله . وهو يتكلم مع موسى فيخشون الله ويهابونه إلى الأبـــد « قال لى الرب : أجمع لى الشعب فأسمعهم كلامى لكى يتعلموا أن يخافونى كل الأيام لتى هم فيها أحياء على الأرض ، ويعلموا أولادهم . فتقدمتم ووقفتم فى أسفل الجبل ، والجبل يضطرم بالنار إلى كبد السماء بظلام وسحاب وضباب ، فكلمكم الرب من وسط النار ، وأنتم سامعون صوت كلام ، ولكن لم تروا صورة ، بل صوتا » [ تثنية ٤ : ١٠ — ١٢ ] لكن بنى إسرائيل طلبوا من موسى أن يكلم الله أن لا يحدث هذا المنظر الرهيب مرة أخرى، بل إذا أراد مخاطبتهم يرسل لهم نبيا ، وهم يسمعون من فم هذا النبى

ويطيعون ، فوعدهم الله بنبى يأتى من بعد موسى فى هذا النص :

النص : « يقيم لك الرب إلهك : نبيا . من وسطك . من إخوتك مثلى . له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الإجتماع قائلا : لا أعود أسمع صوت الرب إلهى ، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت . قال لى الرب : قد أحسنوا فى ما تكلموا . أقيم لهم : نبيا . من وسط إخوتهم . مثلك . وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه . وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به . أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبى — فى ترجمة الكاثوليك ١٩٦٨ م « فليقتل » — وإن قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبى ، فلا تخف منه » [ التثنية ١٨ : ١٥ — ٢٢ ] .

الأوصاف التسعة التى يتحدث عنها هذا النص تنطبق على نبي الإسلام ﷺ إذا حذفنا « من وسطك » و « من وسط » وقد وضعهما عزرا ضمن النص الأصلى لِلبس الحق بالباطل . ليؤكد أن هذا النبى إذا جاء سيكون من بنى إسرائيل .

وعبارة « من إخوتك » و « إخوتهم » وضعهما الكاتب لإحتمال

معنيين . المعنى الأول : من إخوة اليهود ، أى أنه سيكون إسرائيليا . والمعنى الثانى : من إخوة اليهود أى أنه سيكون من بنى إسماعيل .

وقـــد وضع عزرا لفظ الأخوة بالتساوى بين أولاد إسماعيل ، وأولاد إسحق الذى هو أب لإسرائيل ، لقد قال إن ملاك الله نادى هاجر من السماء » وقال لها : تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة . وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى فتلدين ابنا ، وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك . وأنه يكون إنسانا وحشيا يده على كل واحد. ويد كل واحـــد عليه وأمام جميع إخوته يسكن » [ تكوين ١٦ : ١٠ — ١٢ ] .

ولما ظهر نبي الإسلام ﷺ انكره البعض من أهل الكتاب » حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ، ولكنهم لا يستطيعون تغيير ألفاظ التوراه لا نتشارها فى العالم ولتمسك النصارى بها . فلذلك لجأوا إلى تحريف الكلم عن مواضعه لجأوا إلى تأويل النص بالتأويلات الفاسدة قالوا » وأما النبي الذى يقيمه الله من اخوة بنى إسرائيل ، فالمراد بذلك أنه يكون منهم(١) » مع علمهم بيقين أن التوراة صرحت بانه لن يقوم نبى فى إسرائيل مثل موسى » ولم يقم بعد نبى فى إسرائيل مثل موسى» (تثنية ٣٤ : ١٠ ) وحيث أن كتاب موسى قد صرح بمجىء نبى فى المستقبل ، وأن من بين إخوتهم تعنى بنى إسماعيل وبنى إسرائيل . وقد منعت التوراة بجىء نبى من بنى إسرائيل كموسى ، فيكون المراد

(١) ص ٩٤ — ٩٥ تنقيح الإبحاث فى الملل الثلاث ـــ ابن كونة .

« من اخوتهم » فى هذا النص بنى اسماعيل عليه السلام . وحيث أنه لم يظهر من بنى إسماعيل نبى أمى إلا محمدا صلى الله عليه وسلم فيكون هو المراد .

وظل بنو إسرائيل ينتظرون هذا النبى حتى زمن يحي وعيسى عليهما السلام ، وسألوا عنه يحي « ألنبى انت ؟ فأجاب : لا » [ يوحنا ١ : ٢١ ] ولما صنع عيسى معجزة المائدة أرادوا أن يجعلوه ملكا لأن من أوصاف النبى المنتظر أن يكون ملكا « له تسمعون » يقول يوحنا كاتب الإنجيل عقب ذكر معجزة المائدة « فجمعوا وملأوا اثنتى عشرة قفة من الكسر ، من خمسة أرغفة الشعير التى فضلت عن الآكلين . فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع . قالوا : إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم . وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا انصرف أيضاً الى الجبل وحده » [ يوحنا ٦ : ١٣ — ١٥ ]

فقولهم « هـــذا هو بالحقيقة النبى الآتى الى العالم » يدل على أن النبى الذى وعد به موسى لم يكن قد أتى الى زمن عيسى . وانصراف عيسى « الى الجبل وحده » هربا من الملك يدل على أنه ليس هو النبى الآتى الى العالم . وحيث أن نبى الإسلام من بنى اسماعيل وقد أتى من بعد عيسى ، والأوصاف تنطبق عليه فيكون هو المراد . ويكون هو صادقا حينما نطق عن أمر الله « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ... الخ » [ الاعراف ١٥٧ ]

●●● ●●● ●●●

وكان الشيخ يبدأ محاضراته حين يتحدث عن قصص القرآن غالباً : بلماذا ؟ ليثير الانتباه . وعلى طريقة « لماذا ؟ » نقول : إن فى التوراة قصصا فلماذا اختار الله من هذا القصص ما قصه علينا فى القرآن؟ إن الذى يطلع على التوراة السامرية يجدها خمسة أسفار ، والذى يطلع على العبرانية يجدها تسعة وثلاثين والذى يطلع على اليونانية يجدها ستة وأربعين . أليس فى هذه الأسفار الكثيرة قصص كثير ؟ إن فيها على سبيل المثال قصة أستير . وشمشون ودليلة ، وراعوث وبوعز ، لماذا انتقى من قصص التوراة أحسنه ؟

خذ لذلك مثلا قصة يونس عليه السلام . لماذا اختارها ؟ وعلام تدل إنها تدل على : معان إنسانية تحتاجها الإنسانية إلى يوم القيامة . إنها تهدف إلى : أن ينتشر الدعاة المصلحون فى الأرض غير خائفين من الناس وهذا يخدم الدعوة الإسلامية فى حد ذاتها ، حتى لا ينكص داع على عقبيه وهى تبين لنا : أن مفارقة الأهل والوطن فى سبيل الدعوة واجب . فإن يونس كان من أهل أورشليم وكانت رسالته موجهة إلى أهل نينوى وهى تبين لنا : أن رحمة الله بعباده قد سبقت غضبه ، وان الأمة الظالمة . إذا تابت وكفت عن الظلم رفع الله عنها مقته وغضبه وهى تبين لنا فوق ذلك كله : أن الأعمال الصالحة تنجى الانسان من الشدائد وتنقذه من الخطر أليست هذه الدلالات دلالات انسانية باقية

بقاء الانسان نفسه يحتاج اليها الدعاة ، وتحتاج اليها الأمم ؟ وفيما يلي فقرات من هذه القصة الهادفة .

« وصار قول الرب الى يونان بن أمتّاى قائلا : أذهب الى نينوى المدينة العظيمة وناد عليها لأنه قد صعد شرهم أمامى فقام يونان ليهرب الى ترشيش من وجه الرب فنزل الى يافا ووجد سفينة ذاهبة الى ترشيش فدفع أجرتها ونزل فيها . . . فأرسل الرب ريحا شديدة الى البحر فحدث نوء عظيم فى البحر حتى كادت السفينة تنكسر . . .

وقال بعضهم لبعض : هلم نلقى قرعا لنعرف بسبب من هذه البلية ؟ فألقوا قرعا فوقعت القرعة على يونان ، فقالوا له : أخبرنا بسبب من هذه المصيبة علينا ؟ ماهو عملك ؟ ومن أين أتيت ؟ ماهى أرضك ؟ ومن أى شعب أنت ؟ فقال لهم : أنا عبرانى ، وأنا خائف من اله السماء الذى صنع البحر والبر . . .

ثم أخذوا يونان وطرحوه فى البحر ، فوقف البحر عن هيجانه . . . وأما الرب فأعد حوتا عظيما ليبتلع يونان ، فكان يونان فى جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال . فصلى يونان الى الرب الهه من جوف الحوت وقال دعوت من ضيقى الرب فاستجابنى صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتى . . . وأمر الرب الحوت فقذف يونان إلى البر .

ثم صار قول الرب إلى يونان ثانية قائلا : قم أذهب إلى نينوى المدينة العظيمة ، فقام يونان ، وذهب إلى نينوى بحسب قول الرب . . وقال بعد أربعين يوما تنقلب نينوى فآمن أهل نينوى بالله ونادوا بصوم والبسوا مسوحا من كبيرهم إلى صغيرهم ، وبلغ الأمر ملك نينوى فقام عن كرسيه ، وخلع رداءه ، وتغطى بمسح وجلس على الرماد . .

فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ، ندم الله على الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه . فغم ذلك يونان غما شديدا فاغتاظ . وخرج يونان من المدينة وجلس شرقى المدينة ، وصنع لنفسه هناك مظلة ، وجلس تحتها فى الظل حتى يرى ماذا يحدث فى المدينة ، فأعد الرب الإله يقطينة فارتفعت فوق يونان لتكون ظلا على رأسه لكى يخلصه من غمه ، ففرح يونان من أجل اليقطينة فرحا عظيما .

ثم أعد الله دودة عند طلوع الفجر فى الغد فضربت اليقطينة فيبست ، وحدث عند طلوع الشمس أن الله أعد ريحا شرقية حارة فضربت الشمس على رأس يونان . فذبل . فطلب لنفسه الموت . . وقال : موتى خير من حياتى فقال الله ليونان هل اغتظت بالصواب من أجل اليقطينة؟ فقال : اغتظت بالصواب حتى الموت فقال الرب أنت شفقت على اليقطينة التى لم تتعب فيها ولا ربيتها . التى بنت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التى يوجد فيها أكثر من اثنتى

عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم ؟ »
( سفر يونان ) .

ولماذا ذكر الله قصة الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى(١)
عقب قوله للمسلمين « وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم »
( البقرة ٢٤٤ ) ؟ لماذا ؟ أليس ليحتذى المسلمون بالصالحين ممن كان
قبلهم من الامم ؟ أليس لينشروا شريعة الله بين الامم ؟ أليس ليعلموا
« وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل
الله ، وما ضعفوا وما استكانوا ؟ » فانت ترى أن القصة فى القرآن
منتقاة ومختارة لتؤدى أغراضا باقية بقاء الإنسان على ظهر الأرض .
وما من قصة إلا وهى موجودة فى مراجعها قبل ظهور الإسلام .

٭٭٭ ٭٭٭ ٭٭٭

لكن ألا يوجد فى أشخاص القصة القرآنية ، من نسب إليه كلاما
لم يقله ؟ لقد قال اليهود فيما حكاه الله عنهم « إنا قتلنا المسيح عيسى بن
مريم رسول الله » ( المائدة ١٥٨ ) ولو كانوا قد قالوا ما كانوا به

---

(١) اقرأها فى سفر صموئيل الأول .

كافرين. يقول مؤلف الفن القصصي فى معناها « لا يمكن أن يفهم على أنه قد صدر حقا عن اليهود ، فهم لم ينطقوا بهذا الوصف وإنما القرآن هو الذى أنطقهم به ذلك لأن وصفه بالرسالة ليس إلا التسليم بأنه رسول الله ، وهم لم يسلموا بهذا »(١) وقد كفانا مؤونة الإجابة عن هذا السؤال صاحب الكشاف .

أجاب على ذلك فى موضعين . فى سورة المائدة وفى سورة آل عمران يقول فى المائدة « كيف قالوا : إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ؟ قلت . قالوه على وجه الاستهزاء » ويقول فى آل عمران « فإن قلت : لم قيل اسمه المسيح عيسى بن مريم ، وهذه ثلاثة أشياء الاسم منها عيسى . وأما المسيح والإبن فلقب وصفة ، قلت . الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكأنه قيل : الذى يعرف به ويتميز عن سواه مجموع هذه الثلاثة »(٢) لقد اشتهر عيسى بين الناس ، بين اليهود وبين الرومان الذين كانوا يحتلون بلاد اليهود من سنة ٦٣ ق . م .

اشتهر بأنه « المسيح عيسى بن مريم رسول الله » وعلى حسب

---

(١) ص ٣٧ الفن القصصى .

(٢) الكشاف ج ١ ص ٤٣٦ و ج ١ ص ٣٢٢ ط الحلبى بمصر سنة ١٩٤٨

الشهرة قال اليهود « انا قتلنا . . . » وأقل الله قولهم الذى قالوه على جهة الاستهزاء كما حكى عنهم قولهم « عزير ابن الله(١) » ولم يوح اليهم أن عزيرا ابنه ، وكما نقل عن النصارى قولهم « المسيح ابن الله » وما كان قد أوحى اليهم أن المسيح ابنه وكما نقل قولا اخترعه فريق من اليهود وأشاعوه من أيام وجودهم فى مدينة بابل نقل عنهم ماأشاعوه وكذبهم فيه ، وحذر الناس منه ، لقد أشاعوا أن « هاروت وماروت » ملكين من ملائكة السماء نزلا على الربانيين والأحبار فى بابل وعلما الشياطين منهم السحر . وكتبوا ذلك فى التلمود ، ولقنوه لأبنائهم وأكلوا به سحتا .

فجاء هذا النبى الأمى الذى كان يرعى الغنم فى شعاب مكة ، وذكر اشاعتهم وبين كذبها ، وتحداهم علنا أن ينقضوا قوله « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » ( البقرة ١٠١ — ١٠٢ ) .

(١) هو عزرا الذى كتب لهم التوراة الحالية المتداولة فى بابل . فى العراق .

يقول مؤلف الفن القصصي، إن المعاني التاريخية من حيث هي معان تاريخية لا تعتبر جزءا من الدين أو عنصرا من عناصره المكونة له . ومعنى هذا : أن قيمتها التاريخية ليست مما حماه القرآن الكريم ، مادام لم يقصده(١) ، ثم يذكر مثلا على قوله هذا قصة هاروت وماروت، ونقول له : كلا . إن هذه القصة تاريخية ما في ذلك ريب ، إنها مكتوبة في التلمود(٢) ، إنها مشتهرة في العالم من ٥٨٦ ق . م والنبي قد بعث سنة ٦١٠ ميلادية أى أنها قبل البعثة بألف ومائة وستة وتسعين عاما كيف

---

(١) ص ٤٤ — ٤٥ الفن القصصي في القرآن الكريم .

(٢) وفي تاريخ يوسيفوس أنه في زمن عيسى عليه السلام كان فريق من علماء اليهود يطوفون البلاد بكتب السحر ، ويعملون رقى مستخدمين البخور ، ويقسمون على الشياطين التي في أجساد الناس إن تخرج باسم الله الأعظم . وفي الإنجيل أن علماء الفريسيين اتهموا المسيح بأنه يخرج الشياطين من أجساد الناس ، لا لأنه يستخدم اسم الله الأعظم ، بل لأنه يستخدم « بعلزبول » رئيس الشياطين ( متى ١٢ : ٢٢ — ٣٧ ) وهذه قصة وردت في سفر أعمال الرسل لذلك على استخدام السحر قبل الميلاد يقول لوقا « فشرع قوم من اليهود الطوافين المعزمين أن يسموا على الذين بهم الأرواح الشريرة باسم الرب يسوع قائلين نقسم عليك بيسوع الذي يكرز به بولس . وكان سبعة بنين لسكاوا رجل يهودي ، رئيس كهنة الذين فعلوا هذا . فأجاب الروح الشرير وقال : أما يسوع فأنا أعرفه ، وبولس أنا أعلمه . وأما أنتم فمن أنتم ؟ فوثب عليهم الإنسان الذي كان فيه الروح الشرير وغلبهم وقوى عليهم ، حتى هربوا من ذلك البيت عراة ، ومجرحين . وصار هذا معلوما عند جميع اليهود واليونانيين الساكنين في

لا تكون تاريخية ، وهى أقدم فى الزمن من وجود عيسى عليه السلام والكتب التى حملت تاريخ عيسى وجماعته أمراً تاريخيا هى نفسها الكتب التى حملت إشاعة هاروت وماروت ؟ .

لقد حملت الكتب كثيرا وكثيراً ، ولما نزل القرآن صدق بعضا وكذب بعضا ، أنقول عن الذى ذكره وصدقه . إنه تاريخى ، ونقول عن الذى ذكره وكذبه . إنه مخالف للتاريخ ؟ لقد كذب الله الربانيين والأحبار فى إشاعة هاروت وماروت بقضايا أربعة كل قضية مصدرة بما النافية .

١ — ما كفر سليمان عليه السلام ، ولكن الذين كفروا هم الربانيون والأحبار شياطين الإنس الذين ما يزالون إلى الآن يعلمون الناس السحر زورا .

---

افسس . فوقع خوف على جميعهم ، وكان اسم الرب يسوع يتعظم ، وكان كثيرون من الذين آمنو يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع ، وحسبو أثمانها فوجدوها خمسين ألفا من الفضة » ( أعمال ١٩ : ١٣ — ١٩ ) وإذا كان السحر محرما فى كتاب موسى واليهود مع علمهم بالتحريم يستعملونه فهل يستبعد عليهم أن يخترعوا كلاما يكون دليلا لهم على عمل السحر فى نظر العوام من الناس ؟ لأنهم اخترعوا قصة هاروت وماروت لتكون سندا لهم وحجة حيث أن التوراة ليست لهم سندا ولا حجة . ولمزيد من البيان : انظر ـ التلمود باب السنهدرين · وأنظر كتابنا : علم السحر .

٢ — وما أنزل على الملكين شيء من كلام الله . وإذا كان هو لم ينزل على هاروت وما روت شيئا . فلماذا نزلا فى بابل ؟ أنهما لم ينزلا لأنه ما أوحى إليهما شيئا .

٣ — ولم يحدث تعليم من الملكين لأحد . ولما لم يعلما ، فهما بالتالى لم يقولا إنما نحن الابتلاء والاختبار . ولما لم يعلما ولم يقولا فالربانيون والأحبار لم يتعلموا منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، فتعليم ما يفرق بين المرء وزوجه إشاعة ماذاة . إشاعة نشرها اليهود فى بابل ، وكذبها القرآن فى الأرض المقدسة أرض الحجاز . ومثل هذه العبارات مثل قولك « ١ — ما دخلت المسجد ٢ — حتى تقول إنى صليت ٣ — فتطلب منى أن أدعو لك » نفى دخول المسجد نفى لقوله إنك صليت وإذا ثبت أنك لم تصل فكيف يطلب منك أن تدعو له ؟

٤ — ولن يستطيع أحد بواسطة السحر أن يضر أحدا لأن الكون قائم على أسباب ومسببات . أودعها الله فى الكون ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا « ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق » لأنه مكتوب فى التوراة « لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته فى النار ولا من يعرف عرافة ، ولا عائف ولا متفائل ، ولا ساحر . ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جانا أو تابعة ، ولا من يستشير الموتى . لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب » [ التثنية ١٨ : ١٠ — ١٢ ] .

وعلى ذلك فالسحر لا حقيقة له، ولا تأثير له . وعلم السحر لا أصل له ، ولا قواعد له وإنما هو تخييل وإيهام كسحر آل فرعون . ولا يعترض بسحر موسى فإنه معجزة من لدن الله ، انقلبت عصاه حية من لحم ودم . وعصاه ثعبانا من لحم ودم أما حبال السحرة وعصيهم فلم تخرج عن كونها حبالا وعصيا .

* * * * * * * * *

ولعل صاحب الفن يرفع الصوت جهرة : إنى أرفع الثقة فى أهل الكتاب فلماذا تحتج بكتبهم ؟ وأقول : فلماذا اعتمدت عليها فى حديثك عن فرعون وهامان ؟ ولماذا أنت والرازى المفسر اعتمدتما عليها فى نفى حديث المسيح فى المهد[1] ؟ .

إن احتجاجنا بالتوراة والإنجيل ليس على أنهما خاليين من التغيير والتبديل ، بل على أن التغيير والتبديل حصل فى البعض وليس فى الكل. عندهم حق وعندهم باطل ، نسوا حظا مما ذكروا به ، ولم ينسوا الكل ، إنه فى التوراة مكتوب ، وإذا تدنست ابنة كاهن ، بالزنى فقد دنست أباها ، بالنار تحرق ، ( لاويين ٢١ : ٩ ) ومريم ابنة عمران ابنة كاهن ، ابنة عالم من علماء الدين ، فلماذا لم تحرق والمسيح مؤكد لظنونهم ؟ عدم حرقها دليل على نطق ابنها لقد ماتت بعده بكثير ، وهذا الأمر وإن

---

(١) تفسير الفخر الرازى ج ٥ ص ٣٥ ـ الفن القصصى ص ٢٥

كان لم يذكر فى الأناجيل المعتمدة إلا أنه مؤكد من النص المذكور وإن لم تؤمن به فاقرأ من أناجيل الأبوكريفا : برنابا وانجيل الطفولية .

وإنى لأذكر لك نصوصاً من التوراة تتبين منها إنهم نسوا حظا ، وحرفوا عمداً ، وأخطأوا فى ترتيب الحقائق .

وهذا الذى أذكره فوق أنه يصحح أمر فرعون وهامان ويستأنس به على زمن واحد كتبت فيه أسفار التوراة ، وليس ببعيد أن تختلط الحقائق وتتداخل وقت الكتابة هو إعجاز لذلك النبى الذى ذكر تحريفهم لكتاب الله . وما كان يدرى ما الكتاب ولا الإيمان (١) « إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون » ( النمل ٦٧ ) .

١ — فى التوراة العبرانية : الآيات ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ من الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر العدد قد وضعت فى التوراة السامرية بعد الآية السابعة من الإصحاح العاشر من سفر التثنية هكذا : « وبنو إسرائيل ارتحلوا من أبآر بنى يعقان إلى موسير ، هناك مات هرون ، وهناك دفن ، فكهن العازار أبنه عوضاً عنه ، من هناك ارتحلوا إلى الجدجود ، ومن الجدجود إلى يطبات أرض أنهار ماء ( ثم ارتحلوا

---

(١) ومن العجب أن اليهود اعترفوا بالتحريف المتعمد ولم يستطيعوا تكذيب القرآن فى قوله « يحرفونه من بعد ما عقلوه » أنظر : ( رسالة فى اللاهوت والسياسة — سبينوزا ) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١ م .

من يطبات ، ونزلوا فى عبرونة ، ثم ارتحلوا من عبرونة ، ونزلوا فى عصيون جابر ، ثم ارتحلوا من عصيون جابر ، ونزلوا فى برية صين ، وهى قادش ، ثم ارتحلوا من قادش ونزلوا فى جبل هور ، فى طرف أرض أدوم ) أى أنهم حذفوا من سفر ، ووضعوا فى سفر آخر .

٢ — فى التوراة العبرانية « حين تعبرون الأردن ، تقيمون هذه الحجارة التى أنا أوصيكم بها اليوم فى جبل عيبال وتكلسها بالكلس » ( تث ٢٧ : ٤ ) وفى التوراة السامرية بدل كلمة « عيبال » : كلمة « جرزيم » .

٣ — فى التوراة العبرانية : « قال يوسف للذى على بيته : قم أسع وراء الرجال ، ومتى أدركتهم فقل لهم : لماذا جازيتم شرا عوضا عن خير ؟ أليس هذا هو الذى يشرب سيدى فيه وهو يتفاءل به ؟ أسأتم فى ما صنعتم » ( تك ٤٤ : ٤ — ٥ ) وفى اليونانية « لم سرقتم صواعى؟ أليس هذا . . . الخ » ؟ فعبارة « لم سرقتم صواعى » ؟ محذوفة من العبرية .

٤ — فى التوراة العبرانية : أن صفورة زوجة موسى عليه السلام « ولدت ابنا فدعا اسمه جرشوم ، لأنه قال كنت نزيلا فى أرض غريبة » ( خروج ٢ : ٢٢ ) وفى اليونانية عقب هذه الفقرة « وولدت أيضا غلاما ثانيا ، ودعا اسمه العازر ، قائلا : من أجل أن إله أبى أعاننى ، وخلصنى

من سيف فرعون ، فهذه الفقرة زائدة فى اليونانية ، ساقطة من العبرية، وفى اليونانية بدل جرشوم « جرسام » .

ولقد جاء ذكر هامان على هذا النحو فى سفر أستير ، وهو السفر الذى يتحدث عن هدوء بنى إسرائيل فى بابل التى حرفت فيها التوراة عمداً . وفيها جمعت معلومات التوراة دون ترتيب وتنظيم « وعدد لهم هامان عظمة غناه وكثرة بنيه ، وكل ما عظمه الملك به ، ورقاه على الرؤساء وعبيد الملك » ( أستير ٥ : ١١ ) .

... ... ...

وأخيراً : لا يفهم مما قدمته أنى نقدت صاحب الفن القصصى لعداء شخصى أو مذهبى ، كلا فهو عندى له منزلة الباحث المجتهد الذى قرأ كثيراً وكتب .

إن صاحب الفن قد بحث كما بحثت ، واجتهد كما اجتهدت ، وقد أداه بحثه إلى ما وصل إليه ، وأدانى بحثى إلى ما وصلت إليه ، ولو قد درس الذى درسته لوصل إلى الذى وصلت إليه ، والعكس قد كان يمكن أن يكون .

إنه ما دفعنى إلى الكتابة إلا الذى دفعه هو . إن الذى دفعه حسبما تبين من نصوص الكتاب هو : الدفاع عن القرآن ، وهو نفس

الهدف عندى ، ولكن الطريقة اختلفت على حد قول الشاعر :

أبوك أبى ، والجد لا شك واحد
ولكننا عودان : آس وخروع[١]

وإنى لعلى ثقة أنه سيعيد النظر فيما كتب ، وسوف يمحو من كتابه قوله « وإذا ما قال المستشرقون إن بعض القصص القرآنى كقصة أصحاب الكهف ، أو قصة موسى ، فى سورة الكهف قد بنيت على بعض الأساطير قلنا : ليس فى ذلك فى القرآن من بأس . فإنما هذه السبيل : سبيل الآداب العالمية ، والأديان الكبرى .

ويكفينا فخراً أن كتابنا الكريم ، قد سن السنن ، وقعد القواعد ، وسبق غيره فى هذه الميادين »[٢] .

... ... ...

إلى هنا نقف : ونقول : لو أراد علماء المسلمين أن يعرفوا إعجاز القرآن الكريم فعليهم :

١ — فتح مدارس لتعليم اللغات التى كانت موجودة قبل الإسلام.

---

(١) البيت للتمثيل .
(٢) ص ٢٨٢ الفن القصصى .

وهذا أمر يسير فإنه يوجد فى عصرنا هذا كثير من العلماء الدارسين لهذه اللغات وأعرف أنا شخصيا كثيرا منهم . ودرست على أيديهم بعض هذه اللغات .

٢ — وعليهم فتح مدارس لتعليم علوم الأديان القديمة مثل أديان فارس والمصريين القدماء والدين اليهودى والنصرانى ومقارنة كتب الأديان بعضها ببعض وعلى الخصوص تدريس التوراة والإنجيل فى الدراسات العليا .

٣ — وعليهم فتح مدارس لتعليم الفلسفات القديمة وعلوم التاريخ .

٤ — وعليهم أن يتعلموا العلوم الحديثة فى الطب والفلك والذرة وسائر العلوم العلمية التى تخضع للتجربة الدقيقة وكذلك سائر العلوم النظرية كعلم النفس وغيره .

٥ — وعليهم أن يعتنوا جدا بقواعد اللغة العربية والبلاغة العربية وخاصة باب الحقيقة والمجاز . عليهم أن يعتنوا جدا على الخصوص بدراسة التشبيه والاستعارة والكناية .

ثم بعد ذلك يتكلمون فى إعجاز القرآن الكريم ، بعد أن يتجمع لديهم معلومات وفيرة من دراساتهم المتخصصة ١ - فى كل لغة ٢ - وفى كل علم

وسوف يجدون أنفسهم مندهشين تمام الإندهاش كيف عرف رجل أمى نشأ فى بيئة أمية لا يوجد فيها مدارس ولا جامعات ولا كتابة ولا قراءة . كيف عرف أدق ما فى كتب العلم وما سيأتى به الزمن ؟ وسوف يعرفون تمام المعرفة : أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبى صادق حقا ، وأنه رسول أمين ، وأن الله قد اصطفاه رحمة للعالمين ، وجعل أمته خير الأمم .

# هدف الإعجاز

لماذا كانت المصاحية ؟ ولماذا كانت ناقة صالح عليه السلام ؟ ولماذا كانت معجزات عيسى عليه السلام ؟ ولماذا كان القرآن الكريم معجزا ؟ الإجابة واحدة : ليؤمن قوم كل نبي بما جاء به هذا النبي . الهدف من إعجاز القرآن الكريم إذاً أن يؤمن العالم أجمع بالقرآن ويعملوا به . وإذا لم يعملوا بالقرآن حق عليهم ما جرى على الأمم السابقة من آلام وأسقام « ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا ، وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين ، ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون » ( يونس ١٣-١٤ ) .

يجب على أمتنا أن تضع القرآن الكريم أمام قضاة المحاكم ، وأمام نواب الشعب وأمام موجهى الجماهير ، وأمام معلمى النشء . يجب على أمتنا أن تتحاكم بالقرآن الكريم ، وإلا فإن الشعب يكون بعيدا عن الله ورضاه « فلا وربك لا يؤمنون ، حتى يحكموك فى ما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت . ويسلموا تسليما » ( النساء ٦٥ ) .

يجب على مصر أن تأخذ دروسا من الماضى . لقد أصبنا بحروب أكلت اللحم ، ورضت العظم ، وأذابت الشحم ، لقد أصبنا بالخوف والجوع ، ونقص من الأموال ، والأنفس ، والثمرات ، لقد أذلنا الأعداء من الخارج ، وأذلنا سادتنا وكبراؤنا من الداخل . فلابد من القرآن

هاديا ، ومنقذا . روى الترمذى بسنده عن الحارث الأعور قال : مررت فى المسجد فإذا الناس يخوضون فى الأحاديث فدخلت على علىّ فقلت : يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا فى الأحاديث ؟ قال : أوقد فعلوها ؟ قلت : نعم . قال : أما إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أنها ستكون فتن . قلت : وما المخرج منها يارسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله . وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم ينته الجن إذ سمعه حتى قالوا : « إنا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدى إلى الرشد فآمنا به ، من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » وقد علق على هذا الحديث أستاذنا(١) الدكتور محمد بن محمد أبو شهبه بقوله « إن كتابا هذا

---

(١) كنت أعد رسالة الدكتوراه فى كلية أصول الدين فى موضوع « مجلة الأزهر وأثرها فى الدعوة الاسلامية » وذات يوم التقيت بعالم نصرانى بدرجة « قمص » ظن أنى نصرانى مثله لأنى كنت أقرأ فى الكتاب المقدس وأحمل كتابا آخر . فسألنى قائلا : أتعرف أن الإصحاح الثامن من سفر دانيال يشير إلى معركة ١٩٦٧م ؟ قلت : قد قرأت ذلك فى كتاب « إظهار الحق » ( ص ٧٥ ج ١ ) ولكنى لم أدرس جيدا . قال : أحب أن أطلع عليه . ونزلنا من القطار إلى منزل الشيخ حامد عبد الحميد ابراهيم قلبه فى محطة المطرية بمصر وفى الطريق سألته : أمحمد نبى المسلمين لايشير إليه الكتاب المقدس ؟ قال يشير إليه فى آيات كثيرة ثم سرد لى =

بعض شأنه لجدير أن يضمه الإنسان بين عينيه ، ويجعله أنيسه فى خلوته ، ورفيقه فى سفره ، وصديقه الصدوق فى يسره وعسره ، ومستشاره الأمين فى أمور دينه ودنياه، وحجته البالغة فى حياته وأخراه» ويقول الأستاذ عن سند الحديث ومتنه « والمتأمل فيه : يجد قبساً من نور النبوة وحكما من ينابيع الوحى ، مما يجعل القلب يطمئن إليه » (١)

ويقول الأستاذ فى مقدمة كتابه ( المدخل لدراسة القرآن الكريم ) « القرآن بحر لا يدرك غوره ، ولا تنفد درره ، ولا تنقضى عجائبه ، فما أحق الأعمار أن تفنى فيه والأزمان أن تشغل به » .

٭٭٭ ٭٭٭ ٭٭٭

---

= كثيرا من هذه الآيات . وفى منزل الشيخ الذى كنت نازلا عليه ضيفا قرأ ما أراد ثم انصرف مندهشا لما عرف بعد أن مسلم، وكان بين الشيخ،وبين أستاذنا موعد آخر النهار فاصطحبنى معه ، وقصصنا عليه ما حدث فتبسم ضاحكا . وقال «يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » وكررها كثيرا ، ثم قال : وددت لو يكتب أحد رسالة فى « البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والانجيل » فشرح الله صدرى للذى قال . واستبدات الموضوع الأول بقوله ، وأشرف هو عليه ، وساعدنى فيه كثيرا ومن عجيب المصادفات أننى التقيت به فى مسجد الجامع الأزهر بعد سنتين من الزمان فى حجرة الأساتذة وذكر لى نصوصا أخرى .

( اقرأ ما تشير إليه هذه الرموز : تكوين ١٧ : ١٨ ــ ٤٩/٢١ : ٩٠ تثنية ١٨ : ١٥ ــ ٣٢/٢٢ : ٢١ / ٣٣ : ١ ــ ٤ ،زمور ١٤٩ متى ١٣ : ٣١ ــ ٣٢ يوحنا ١ : ١٩ ــ ١٦/١٥/١٤/٢٢ ) .

(١) ص ١٣ ــ ١٤ المدخل لدراسة القرآن الكريم ــ مطبعة القاهرة الحديثة سنة ١٩٧٣ م .

ولا يفهم من هذا الحديث الاعتماد على القرآن وحده مصدراً وحيداً للتشريع الاسلامى . فان من الأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ أحاديث مبينة لآيات مجملة فى القرآن كأحاديث الصلوات المفروضة ، مثلا فان الله عز وجل لما قال « وأقيموا الصلاة » صلى الرسول ﷺ وصلى أصحابه معه ، ولما انتشر الأصحاب يفتحون البلاد وينشرون الاسلام صلوا أمام أهل البلاد المفتوحة ، وأهل البلاد بعد إسلامهم علموا أولادهم وهكذا جيلا إثر جيل إلى يومنا هذا . مثل هذا النوع من الأحاديث يعتبر من التشريع الاسلامى وعليه إجماع من العلماء .

وهناك نوع من الأحاديث ثبت عن الرسول ﷺ ولكن اختلف رواة الأحاديث فى زمن فعل الرسول له ومن أجل عدم تحديدهم للزمن: انقسم العلماء إلى قابل له ورافض للعمل به . مثال ذلك : حكم الرجم للزانى المتزوج . فان العلماء يجمعون على جلد من لم يتزوج مائة جلده ، ويختلفون فى حكم رجم المتزوج هل يجلد مائة جلدة ؟ أم يرجم بالحجارة حتى يموت ؟ وسبب اختلافهم ما رواه البخارى رضى الله عنه « حدثنى اسحق ، حدثنا خالد عن الشيبانى ، سألت عبد الله بن أبى أوفى : هل رجم رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم . قلت : قبل سورة النور أم بعد ؟ قال : لا أدرى »(١) ووجه الخلاف : إذا كان الرجم قبل سورة النور فإن الرجم

---

(١) البخارى — باب رجم المحصن ص ٢٠٤ ج ٨ طبعة الشعب بالقاهرة

قد نسخ بالجلد لعموم « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة» فإنها تعم المتزوج وغير المتزوج . وإذا كان الرجم بعد سورة النور ، فإن حكم الرجم ما يزال باقيا إلى يومنا هذا ، وإلى أن تقوم الساعة(١)

والخلاف قديم وحديث بين العلماء ومن أدلة النافين للرجم ما يلي:

١ ــ « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت ، حتى يتوفاهن الموت ، أو يجعل الله لهن سبيلا ، واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما . ان الله كان توابا رحيما » ( النساء ١٥ ــ ١٦ ) .

والمعنى : التى تزنى يقام عليها حد الزنى المذكور فى سورة النور . وهو معلوم بداهة للعلماء ، وهو قوله تعالى «الزانية والزانى فاجلدوا... ألخ » . وإذا أقيم الحد على الأنثى تلزم بيتها للستر والعفة لئلا يراها الناس فيتذكروا سوء فعلها ، وتظل ملازمة البيت مستورة حتى تموت أو يتوب الله عليها توبة نصوحا فيقبل عليها من يتزوجها . والذى يزنى

---

(١) لا يتهم الاسلام بالقسوة فان هذا الحكم فى التوراة « أخرجوهما كليهما الى باب الملك المدينة ، وارجموها بالحجارة حتى يموتا » ( التثنية ٢٢ : ٢٤ ) وإذا كانت الزانية ابنة كاهن فانها تحرق « وإذا تدنست ابنة كاهن بالزنى فقد دنست أباها بالنار تحرق » ( اللاويين ٢١ : ٩ ) .

يقام عليه حد الزنى المذكور فى سورة النور وهو المعبر عنه فى الآية « آذوهما » وان تكرر الزنا منهما يتكرر الجلد أيضاً ، وان تابا وأصلحا فلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم .

٢ — ان الله تعالى قال فى حق الإماء « فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب » ( النساء : ٢٥ ) فجعل حد الإماء نصف حد المحصنات من الحرائر ، والرجم لا يتنصف فلا يصح أن يكون حداً للمحصنات من الحرائر وبالتالى لا يصح حدا للمحصن .

٣ — ان الله تعالى فصل أحكام الزنى وأطنب فيها بما لم يطنب فى غيرها والرجم أقصى العقوبات وأشدها فلو كان مشروعا لكان أولى بالذكر .

٤ — ان قوله تعالى « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » يقتضى وجوب الجلد وعمومه لكل الزناة ، وإيجاب الرجم على بعضهم يقتضى تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وهو غير جائز .

٥ — ربما يكون رجم الرسول ﷺ لماعز والغامدية اجتهاد منه كاجتهاده فى أسارى بدر .

ومن أدلة المثبتين :

١ — « عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه خطب فقال : ان الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب . فكان فيما أنزل عليه آية الرجم(١) ، قرأناها ووعيناها وعقلناها فرجم رسول الله ﷺ . ورجمنا بعده ، فأخشى ان طال بالناس الزمان أن يقول قائل : ما نجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وان الرجم حق فى كتاب الله على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة أو كان الحبل(٢) » .

وقد علق الشيخ محمد عبد العزيز الخولى الأستاذ بدار العلوم بالقاهرة على كلمة الرجم بقوله : « اذا كان الرجم باقياً مفروضا فى الشريعة فلماذا تنسخ آيته ؟ » .

٢ — قال كثير من فقهاء المسلمين بالرجم يقول صاحب الكشاف فى تفسير آية النور « فإن قلت : اللفظ يقتضى تعليق الحكم بجميع الزناة والزوانى لأن قوله « الزانية والزانى » عام فى الجميع يتناول المحصن

---

(١) إذا كان الرجم باقيا مفروضا فى الشريعة ، فلماذا تنسخ آيته ؟

(٢) النص منقول من كتاب « سبل السلام » طبعة الحلبى بمصر سنة ١٩٦٠م ج ٤ ص ٨ وهو فى البخارى باب رجم الحبلى ص ٢٠٩ ج ٨ ط دار الشعب بالقاهرة .

وغير المحصن ، قاطع . الزانية والزانى يدلان على الجنسين المتنافيين لجنسى العفيف والعفيفة دلالة مطلقة : والجنسية قائمة فى الكل والبعض جميعاً . فأيهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك » .

وعلى ما قدمنا فإن الحديث « كتاب الله فيه نبأ من قبلكم ... » الخ يعنى أن رأس الأمور كلها هو كتاب الله ، وقد بلغنا عن رسول الله ﷺ وإن بلغنا عنه شىء آخر وصحت نسبته إليه : فمن دواعى احترامه وتوقيره أن نعمل به مفسراً وموضحاً .

*** *** ***

وقد تعرض لهذه المسألة بالبيان الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت فى كتابه « الإسلام عقيدة وشريعة » قال رحمه الله مانصه : « إن جماعة من الباحثين أبوا أن يتخذوا هذه الأحاديث المروية مصدرا من مصادر التشريع . رأوا أن القرآن بدلالاته المختلفة وإشاراته المتعددة ، وما تناقله المسلمون بالعمل كفيل ببيان أحكام الله .

وأن ما جاء من هذه الأحاديث لم يكن صادراً عن الرسول باعتباره إماما للدين يقدر مصلحتهم التى تحددها الظروف وتمليها الأحوال وليست من قبيل التشريع العام الملزم فى جميع الأزمنة والحوادث والأشخاص ويستدلون على هذا بمثل قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم » وقوله تعالى « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء » ، وقوله

عز وجل « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » وقوله سبحانه « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » وغير ذلك مما يدل دلالة واضحة على أن القرآن فيه كفاية المسلمين فى دينهم وتشريعهم ويرون أن البيان الذى كلفه الرسول ما هو إلا التطبيق العملى لما فهمه من القرآن وهو ( السنة ) بالمعنى بالمعروف أولا .

ويستدلون أيضاً . بأن الأحاديث لو كانت تشريعا عاماً كالكتاب لأمر الرسول بتدوينها وحفظها كما فعل ذلك فى القرآن وليس من المعقول أن يكون قوله صلى الله عليه وسلم مصدراً لإيجاب أو تحريم يتعلق بأمة خالدة ثم لا يأمر وهو الرسول المكلف بالبلاغ والبيان بتدوين ماهو البلاغ والبيان حفظا له من الضياع والاختلاف .

ومع هذا فقد وجدت أحاديث تمنع من تدوين الحديث ، منها ماروراه مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى أنه قال قال رسول الله ﷺ ، « لا تكتبوا عنى ، ومن كتب غير القرآن فليمحه . وحدثوا عنى ولا حرج ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ومنها ما جاء فى البخارى عن ابن عباس أنه قال « لما اشتد بالنبى ﷺ وجعه قال ايتونى بكتاب أكتب لكم كتاباً . لن تضلوا بعده قال عمر : إن النبى غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا » قالوا : ولقد رأينا الخلاف يشتد بين المحدثين بعضهم مع بعض . والفقهاء بعضهم مع بعض . وهؤلاء

جميع هؤلاء . فى تصحيح الحديث أو رفضه والتعويل عليه فى الدلالة أو عدم التعويل .

وذلك مما يشهد بأن الحديث لو كان أصلا فى التشريع والتحليل والتحريم لما ترك بدون تحديد ، وضبط حتى تثور حوله هذه الخلافات الشديدة . ولقد كان من أثر هذا أن رفض جماعة من العلماء كثيراً من الأحاديث المروية لاعتبارات فقهية لم يعتمدوا فيها على غير الرأى العقلى البحت(١) . وبهذا ونحوه : استدلت هذه الطائفة وأسقطت الأحاديث المروية من أصول التشريع . ورأت كل ما ورد منها قولا أو فعلا أو تقريراً مما لم يتواتر عملياً فسبيله إن صحت روايته وثبت اتصاله . الاجتهاد الذى يتغير تبعا للمصلحة وليس من التبليغ الدائم والشرع العام . كما أنه ليس من الهوى الذى نفاه الله عن رسول الله ﷺ بقوله تعالى « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » على أن القوم ما كانوا يرمونه بالهوى إلا فى ما كان ينطق به قرآنا ووحيا من عند الله .

الرد على شبه هؤلاء : ولكن المحققين من العلماء قد أثبتوا بالسنة

---

(١) راجع الجزء الثانى من كتاب : أعلام العرب لابن الجوزى المتوفى سنة ٧٥١ هجرية .

قولا وعملا كثيراً من الاحكام التشريعية الدائمة : كما اعتمدوا عليها فى بيان القرآن بتخصيص عامه ، وتقييد مطلقه ، وبيان مجمله ، وغير ذلك معتمدين فى هذا على القرآن نفسه : إذ يقول الله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ، ويقول عز وجل « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » ، ويقول سبحانه « ومن يطع الرسول فقد أطاع الله » .

ويقول تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فى ما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما » ، ويقول عز وجل « فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » ، وقد أقر النبى صلى الله عليه وسلم معاذا على اعتبار السنة مصدرا من مصدار التشريع حينما بعثه إلى اليمن واستقر ذلك عند الاصحاب حتى كتبها عمر رضى الله عنه لأبى موسى الأشعرى فى عهده إليه بالقضاء ، واعتبرها مصدراً تاليا للكتاب ، ومن هنا يتبين أن الرأى السابق مخالف لإجماع الذين يعتد بإجماعهم . وأن ماذكروه من الشبه لا قيمة له أمام العمل المستمر من عهد الرسول إلى يومنا هذا فى نزوع المسلمين فى تعرف أحكامهم إلى السنة المروية .

وإذا كانت السنة العملية المتواترة حجة عندهم . فسنة المسلمين العملية المتواترة فى جميع الأجيال السابقة هى استدلالهم على الأحكام بما صح من أحاديث الرسول أقوالا كانت أو غير أقوال . ومع اتفاق العلماء على أن السنة مصدراً من مصادر التشريع فقد جعلوها فى المرتبة الثانية

بعد القرآن فلم يكن لها عندهم حكم مع صريحه(١) » .

# خاتمة الكتاب

ما عسى يمكن أن تكون الفائدة التى نخرج بها من هذا البحث ؟ أعتقد أننا أمام أمرين لا ثالث لهما . إما أن هذا القرآن من تأليف محمد نفسه ، وإما أن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد . وليس من سبيل إلى الأمر الأول ، لأن النبى محمداً ﷺ ما كان يقرأ وما كان يكتب ، وما كان يحسب ولم يختلف إلى معلم ، وبيئته خالية من معاهد الدرس والتحصيل .

ليس أمامنا إذاً إلا الإعتراف بأن القرآن من وحى الله على هذا النبى الأمى الذى ما كان يدرى ما الكتاب ولا الإيمان .

وقد استبان لنا : أن المذكور فى القرآن من القصص مسطور فى كتب الأولين ، وليس أن محمداً ﷺ قد تعلم هذا القصص كما يقول بعض المستشرقين : ( من العبيد والأرقاء ، أولئك الأعاجم الذين يخدمون السادة من قريش والذين أشار القرآن إلى واحد منهم حين قال « ولقد نعلم أنهم يقولون . إنما يعلمه بشر . لسان الذى يلحدون إليه أعجمى ، وهذا لسان عربى مبين » وهؤلاء ما كانوا يعرفون من التاريخ الدينى للرسل والأنبياء إلا شائعات ، ذلك لأنهم بحكم رقهم ، أو بحكم

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ص ٥١٦ — ٥١٩ طبعة دار القلم بمصر .

فقرهم ما كانوا يستطيعون الحصول على نسخ من الإنجيل والتوراة ، وكتب الأخبار . فلم تكن المطبعة قد وجدت بعد . ولم تكن النسخ المخطوطة من الكثرة بحيث تقع فى أيدى هؤلاء[١] ) والسبب بسيط — كما سنبيانه — هو أن ما جاء فى القرآن ليس من الشائعات ، بل من الحقائق المسلم بها تسليما .

والمستشرقون ما يزالون إلى اليوم « يقولون : إنما يعلمه بشر » ( النحل ١٠٣ ) وهو القول الذى علم الله أنهم سيقولونه من قبل . وكان من الواجب على المستشرقين أن يأخذوا من هذه الآية دليلا على أن نبوءات الرسول بظهر الغيب واقعة فيؤمنون به كنبوءة المسيح عن هدم هيكل سليمان وخراب أورشليم تمهيدا لمجىء نبى بنى إسماعيل[٢] . الأمر الذى وقع كما أنبأ تماما[٣] وإن لم يك ممكنا فانه كان من المتعين إثبات التناقض فيما أتى به هذا النبى أو تكذيبه فيما نطق به ، ليثبتوا أنه أتى بشائعات . والعقلاء يشهدون أنه لا يمكن أبدا لرجل يكون أتباعا ، ويؤسس دولة ، ويتحدى رجال الدين فى عصره من أهل الكتاب وكل

---

(١) راجع : هنرى سمث — الكتاب المقدس فى الإسلام من ٥٠ — ٩٧ وراجع : ريشارد بل — مصادر الإسلام من ١٠٤ — ١٠٥ نقلا عن الفن القصصى ص ٢٢٧ .

(٢) هو نبى الاسلام لأنه لم يأت من ولد اسماعيل نبى الا هو .

(٣) إنجيل متى ٢٢ : ٤١ الى ٤٥ : ٤٦ ولاحظ أن ما قبل النقطتين هو رقم الاصحاح وما بعد النقطتين هو رقم الآية ( أنظر فصـل ابن الانسان فى كتابنا : البشارة بنبى الاسلام ) وأنظر لوقا ومرقس فى نبوءة هدم هيكل سليمان .

العصور — لا يمكنه أبدا — أن يقول كلاما يثبت تناقضه فيما بعد » فيمنعه عن مطلوبه ، ويبطل عليه مقصوده .

# نظرية المصادر المحتملة

ويطلق المستشرقون فى عصرنا هذا على ماجاء فى القرآن من أخبار الأولين نظرية « المصادر المحتملة » إيمانا منهم بأن نبى الإسلام ﷺ قد استقى معلوماته من البشر . يقول مؤلفا « فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية » المعنون بالفرنسيـــة « مدخل إلى علم اللاهوت الإسلامى — محاولة فى علم اللاهوت المقارن » يقولان : « ولا نشير هنا إلى نص القرآن ذاته ، وإلى مصادر محمد المحتملة فواضح لدى المسلم ذى العقيدة المستقيمة أن مفهوم الوحى إذ يجعل النبى علة وساطية حرة ، يدع مجالا واسعا للمصادر المختلفة التى قد يستخدمها صاحب الوحى لتأدية رسالته »(1) .

إن القول بمصادر محمد المحتملة ، مثل القول بالفن الأدبى سواء بسواء كلاهما يؤديان فى مفهومنا إلى غاية واحدة هى قصر رسالة الإسلام على العرب وحدهم .

---

(1) ص ٣٧ — ٣٨ فلسفة الفكر الدينى . ولاحظ أننا نحن المسلمين لا نقول : إن النبى علة وساطية حرة . بل نقول : إن الوحى من الله. والرسول يبلغ كما سمع من الله : أى أن الرسول حر فى شئون نفسه وليس فى شئون الوحى الذى يتلقاه من السماء والوساطية الحرة مرفوضة فى الدين اليهودى من قبل سبى بابل وهى مرفوضة فى الإسلام أيضاً . وقد توسع النصارى فى الأخذ بها حتى أن بولس استخدمها لإلغاء ناموس موسى ( أنظر : كولوسى ) .

تهدف نظرية : الفن الأدبي إلى : أن العرب وحدهم هم القادرون على تذوق االلغة العربية وآدابها . لأن الأعاجم الذين يسمون في عرف اليهود والنصارى بالأمم غير قادرين على تذوق اللغة العربية وآدابها وعليه يكون إعجاز القرآن للعرب وحدهم . دون الأمم .

وتهدف نظرية : المصادر المحتملة . إلى : أن محمداً ولد في العرب وتربى بينهم ، وقد عرف حبهم للقصص وميلهم إليه فذكر ما ذكره ، من القصص واضعاً مبادىء دعوته بين ثناياه . وعليه أيضاً يكون إعجاز القرآن للعرب وحدهم . دون الأمم .

٭٭٭ ٭٭٭ ٭٭٭

ينبغي أن يعلم الناس علم اليقين أن رسالة الإسلام ليست للعرب وحدهم بل هي للعرب والأمم . للناس جميعاً . وأن إعجاز القرآن ليس للعرب وحدهم بل للأمم أيضاً . وما من شك في أنه إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد استغل الميل والأسلوب لفائدة العرب فإنه ما كان للأمم أن تقبل على الإسلام . أولا : لأنهم لا يتذوقون جمال النصوص . وثانياً : لأن الأمم قبل الإسلام قدبلغت في الحضارةشوطاً كبيراً وعندهم علوم مدروسة وفنون . فلوكان ما ذكره الرسول من القصص وغيره غير واقع ومدروس لتركوا الإسلام .

لقد كان للأمم أثر عظيم في الإسلام . وهذا يدل على أن الأمم لم تجد في معاني القرآن اختلافاً أو تناقضا . لقـــد كان من الأمم : البخاري

المحدث ، والزمخشرى المفسر ، وأبو حنيفة الفقيه ، وسيبويه النحوى .
وإننا نحن المصريين من الأمم وقد أقبلنا على الإسلام بشغف ، وعندنا فى الأزهر يتلى كتاب الله وجنود مصر لهم فضل كبير فى نشر الإسلام والدفاع عنه .

* * *    * * *    * * *

بقى أمر لا يفوتنى أن أشير إليه وهو : أن كثيراً من مفسرى القرآن الكريم . قد نقلوا فى التفاسير بعض قصص التوراة ، ولم يلتفتوا إلى الغرض الذى جاءت من أجله القصة . فلذلك لم يحسنوا عرض الفكرة التى جاءت القصة مقررة لها .

فمثلا قوله تعالى « إصبر على ما يقولون . واذكر عبدنا داود ، ذا الأيد إنه أواب ، إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق والطير ، محشورة كل له أواب ، وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة ، وفصل الخطاب . وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب . إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان ، بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ، ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط . إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ، ولى نعجة واحدة ، فقال أكفلنيها ، وعزنى فى الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه . وإن كثيراً من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل

حاهم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب . فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب .

ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله . إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » ( ص ١٧ — ٢٦ ) فى التوراة ما نصه : « فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ، ندبت بعلها ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته ، وصارت له امرأة ، وولدت له ابنا ، وأما الأمر الذى فعله داود فقبح فى عينى الرب فأرسل الرب ناثان إلى داود . فجاء إليه ، وقال له كان رجلان فى مدينة واحدة . واحد منهما غنى والآخر فقير . وكان للغنى غنم وبقر كثيرة جداً . وأما الفقير فلم يكن له شىء إلا نعجة واحدة صغيرة . قد اقتناها ورباها ، وكبرت معه ، ومع بنيه جميعا . تأكل من لقمته ، وتشرب من كأسه ، وتنام فى حضنه ، وكانت له كابنة .

فجاء ضيف إلى الرجل الغنى فعفا أن يأخذ من غنمه ، ومن بقره ليهيىء للضيف الذى جاء إليه فأخذ نعجة الرجل الفقير . وهيأ للرجل الذى جاء إليه ، فحمى غضب داود على الرجل جداً وقال لناثان : حى هو الرب . إنه يقتل الرجل الفاعل ذلك ويرد النعجة أربعة أضعاف . لأنه فعل هذا الأمر ، ولأنه لم يشفق . فقال ناثان لداود أنت هو الرجل . هكذا قال الرب إله إسرائيل . . . لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر فى عينيـــه ، قد قتلت أوريا الحثى بالسيف ، وأخذت امرأته لك

امرأة ؟ ..الخ »(١) (صموئيل الثانى ١١ ، ١٢ ) فأنت ترى أن القصة فى التوراة على سبيل التمثيل . من أجل امرأة أوريا التى هى أم سليمان عليه السلام . وأنت ترى أن القصة فى القرآن نفى لهذا الغرض وبيانه أن هذا افتراء من اليهود ، كما افترى على النبى صلى الله عليه وسلم وقد طلب الله من النبى أن يصبر على ما يقولون . فقد افترى اليهود من قبله على نبى كريم والقرآن مع ذكره القصة قد بين أن السياق مختلف فهى فى التوراة على لسان ناثان للتمثيل وهى فى القرآن خصمان قد طلبا الحكم بالفعل. ولو كانت القصة لنفس الغرض المذكور فى التوراة ما كان القرآن يعقب عليها « ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم ... » الخ إن داود عليه السلام قد سمع كلام أحد الخصمين فحكم له قبل أن يسمع كلام الطرف الآخر . وهذا تسرع فى الحكم قد لامه الله عليه .

... ... ...

من أجل هذا التمثيل المذكور فى التوراة والذى نقله بعض المفسرين فى كتبهم يقول مؤلف « الفن القصصى فى القرآن الكريم » : « القصة التمثيلية قصة فنية هذا ما يقرره الأقدمون ، ويشهد به الواقع » ثم يذكر أقوال الكثيرين من المفسرين فى فتنة داود وبعد سرد الأقوال يقول « إن سر الاختلاف يرجع إلى أن بعضهم لا يعرف إلا الصدق العقلى »

---

(١) يمكنك الحصول على التوراة والزبور والإنجيل من الكنائس ومكتبات النصارى اطلب ( الكتاب المقدس ) العهد القديم والجديد .

وهو مطابقة القول للواقع ، وينكر أو ينسى ما عداه » ثم يقول « لنعد الآن إلى التمثيل ، وإلى القصة التمثيلية فى القرآن وهنا أحب أن أصرح: بأنى لا أقصد إلى القول بأن كل المواد القصصية فى القصص التمثيلى القرآنى وليدة الخيال . ذلك لأن بعضهـا قد يكون وليد الأحداث الواقعية ، وذلك هو الواضح من قصة الملكين السابقة ، وما فيها من أحداث من تاريخ داود عليه السلام »(١) . والحق إن سر الاختلاف يرجع إلى عدم نقل النص من موضعه الأصلى وعدم الالتفات إلى الغرض الذى جاءت من أجله القصة . وكان يجب على مؤلف الفن الرجوع إلى التوراة وكلام المفسرين من أهل الكتاب أولا فى مثل هذه الأمور ولا يغيب عن البال أن يصحح القرآن أحيانا مما عندهم .

ومن الذى أعلمه أن الخصمين ملكان ؟ القرآن يقول « خصمان » فما الذى جعله يفسر الخصم بالملاك ؟ وما القرينة التى تدل على ذلك ؟ إنهما رجلان دخلا عنوة . ولو كانا ملكين ماتسورا المحراب ، بل كانا يظهران مباشرة فيه .

وإنه ليسرنى أن أختم كتابى هذا بهذا النص الجميل من كلام الإمام أبى الحسن على بن محمد الماوردى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ النص(٢) « : إن الله

---

(١) ص ١٥٤ — ١٥٨ الفن القصصى .

(٢) سيظهر لك منه عالمية دعوة موسى إلى أن نسخت بالقرآن الكريم

تعالى جعل لكل مقدور من الأمور إذا دنا ، نذيراً وبشيراً . يظهر بهما مبادىء ما أخفاه ، ويشعر بحلولهما قدره وقضاه . ليكونا تحذيراً وتحذيراً . استيقظ بهما العقول ، ويزدجر بهما الجهول لطفا بعباده من فجاة الامور المذهلة . أن تصدم ببوادر لا تستدرك لتكون النفوس فى مهلة من استدفاع خطبها ، وحل صعبها .

ولما دنا مبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة رسولا ، وإلى الخلق بشيراً ونذيراً ، انتشر فى الامم : أن الله تعالى سيبعث نبياً فى هذا الزمان ، وأن ظهوره قد قرب وآن . فكانت كل أمة لها كتاب يعرف ذلك من كتابها ، والتى لا كتاب لها ، ترى من الآيات المنذرة ، ما تستدل عليه بعقولها ، وتنتبه عليه بهواجس فطرها ، إلهاما أعان به الفطن اللبيب ، وأنذر به الحازم الاريب . هذا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غافل عنها ، وغيره عالم أنه مراد بها . ومؤهل لها ، لم يشعر بها حتى أوحى ، ولا تحققها حتى نوجى . ليكون أبعد من التهمة ، وأسلم من الظنة ، فيكون برهانه أظهر ، وحجاجه أقهر . وكان مع تميزه عن قومه بشرف أخلاقه ، وكرم طباعه ، لم يعبد معهم صنما ، ولا عظم وثنا . وكان متدينا بفرائض العقول ، فى قول جميع الفقهاء والمتكلمين ، من توحيد الله تعالى ، وقدمه ، وحدوث العالم وفنائه ، وشكر المنعم ، وتحريم الظلم ، ووجوب الإنصاف ، وأداء الامانة .

واختلف أهل العلم : هل كان قبل مبعثه متعبداً بشريعة من تقدمه من الأنبياء ؟

فذهب أكثر المتكلمين ، وبعض الفقهاء من أصحاب الشافعى وأبى حنيفة إلى أنه لم يكن متعبداً بشريعة من تقدمه من الأنبياء ، لأنه لو تعبد بها لتعلمها ولعمل بها ، ولو عمل بها لظهرت منه ، ولو ظهرت لاتبعه فيها الموافق ، ونازعه فيها المخالف .

وذهب بعض المتكلمين ، وأكثر الفقهاء من أصحاب الشافعى وأبى حنيفة : إلى أنه كان متعبداً بشريعة من تقدمه من الأنبياء ، لأنهم دعوا إلى شرائعهم من عاصرهم . ومن يأتى بعدهم . مالم تنسخ بنبوة حادثة . فدخل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فى عموم الدعاء قبل مبعثه ، لأن الله تعالى لا يخلى زمانا من شرع متبوع ، ولا متدينا من تعبد مسموع .

واختلف من قال بهذا . فيما كان متعبداً به من الشرائع المتقدمة ؟

فذهب بعضهم : إلى أنه كان متعبداً بشريعة جده إبراهيم عليهما السلام لقوله تعالى « ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه » لأنه كان فى الحج والعمرة على مناسكه .

وذهب آخرون : إلى أنه كان متعبداً بشريعة(١) موسى .

تم الكتاب بحمد الله وحده

والحمد لله على التمام . وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الرسل الكرام . وآله وصحبه الأئمة الأعلام . على مر الدهور وتعاقب الأيام . آمين .

ربيع الأول ١٣٩٦ هـ

مارس ١٩٧٦ م

(١) ص ٢١٢ — ٢١٥ أعلام النبوة — نشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧١ م — وهذا هو الأصح لأن الله يحكي عن العرب « فلما جاءهم الحق من عندنا . قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى ، أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل . قالوا سحران تظاهرا . وقالوا : إنا بكل كافرون » ( القصص ٤٨ ) فكفرهم بكتاب موسى الذي كان للانس والجن يدل على عموم كتاب موسى وأنهم أي العرب كانوا مكلفين به قبل أن ينسخ بالقرآن الكريم .

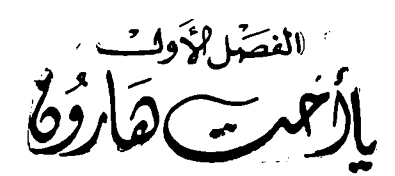


# تفسير الكتاب

السفا

« ان المعانى التاريخية . مكانا . أو زمانا . أو أشخاصا . من مقاصد القرآن . لأنه اذا كان القرآن يصحح مما استقر فى الكتب . من مسائل التاريخ فإنه على ذلك يهتم بالأصل التاريخى الذى تدخل لتصحيحه . والا فلماذا يصحح ؟ »




الفصل الأول
يا أخت هارون

بينا من قبل أن واحدا من المبشرين طعن فى القرآن بقوله : كيف يقول محمد إن مريم أم المسيح أخت لهرون أخى موسى . وبين مريم وهارون مئات من السنين ؟ ١٥٧١ سنة وأن صاحب الفن القصصى أخذ من كلامه ومن كلام غيره حجة على أن القرآن ليس كتابا لتعليم التاريخ ولا سرد وقائعه مرتبة مستوفاه .

وقد رددت بأن التوراه تنص على أن تتزوج كل بنت فى أسرتها « وكل بنت ورثت نصيبامن أسباط بنى إسرائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها » [ عدد ٣٦ : ٨ ] وأن زكريا النبي قد تزوج بنتا من أسرته لقد كان من آل هارون . وتزوج بنتا من بنات هرون يقول لوقا « كان فى أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن أسمه زكريا . من فرقة أبيا . وأمرأته من بنات هرون وأسمها اليصابات » [لوقا ١:٥ ] وفرقة أبيا من آل هارون كما هو مصرح به فى لإصحاح الرابع والعشرين من سفر الأخبار الأول الآية العاشرة . وفى انجيل لوقا أن جبريل عليه السلام لما بشر العذراء بغلام قالت له . كيف ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا ؟ قال لها : أتعجبين من أمر الله . ها هى أليصابات قريبتك التى تعرفينها جيدا حبلى وكانت من قبل عاقرا ؟ لا يستحيل على الله شىء . فقول الملاك جبريل للعذراء : إن اليصابات قريبة لها يدل على أن مريم من نفس أسرة اليصابات . ولما ثبت أن اليصابات من بنات هرون يثبت أن مريم من بنات هرون .

وهنا أوضح الرد ببيان زائد فأقول :

لما استبعدت مريم رضى الله عنها كلام الملاك أحالها إلى اليصابات امرأة زكريا بقوله « وهو ذا اليصابات نسيبتك هى أيضاً حبلى بابن فى شيخوختها » والنسب هو القرابة لقول القديس بولس عن اليهود « إنى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروما من المسيح ، لأجل إخــوتى أنسبائى حسب الجسد ، الذين هم اسرائيليون... ألخ» [ رومية ٩ : ٣ — ٥ ] ولقوله أيضاً « أيها الامم بما أنى رسول للامم أمجد خدمتى . لعلى أغير أنسبائى وأخلص أناسا منهم » [ رومية ١١ : ١٣ — ١٤ ] يقصد تخليص اليهود من الكفر بعيسى عليه السلام ويقول الدكتور فردريك و . فارار « النسب : القرابة(١) » وحيث أن مريم قريبة لإليصابات ، واليصابات من بنات هرون فإن مريم تكون من بنات هرون . فإن قلت : ربما تكون القرابة من جنس اليهود لا لسبط معين . أقول لك: ذلك تحرمه التوراه بهذا النص « وكلم الرب موسى فى برية سيناء فى خيمة الاجتماع فى أول الشهر الثانى فى السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلا : أحصوا كل جماعة بنى إسرائيل بعشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء كل ذكر برأسه » [ عدد ١ : ١ — ٢ ] فتمييز الأسباط فريضة فى إسرائيل ، كل رجل يتزوج من سبطه وكل امرأة تتزوج من سبطها [ عدد ٣٦ : ٨ ] .

---

(١) ص ٢٦ ج ١ حياة بولس .

... ... ...

والنصارى إلى الآن غير قادرين على إنكار هذه الحقيقة التي صرح بها القرآن . ويصرون على القول بأن مريم من داود من سبط يهوذا . ويلتمسون مخرجا فلا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا يقول القس سيداروس عبد المسيح « أما كلمة « اليصابات نسيبتك » [ لوقا ١ : ٣٦ ] فماذا تعني إذن ؟ مادامت العذراء من عشيرة داود ، من سبط يهوذا ، بينما أن اليصابات أمرأة زكريا الكاهن هي من سبط لاوى من بنات هرون [ لوقا ١ : ٥ ] فكيف صارت نسيبة أو قريبة للسيدة العذراء مريم ؟

يأخذ البعض كلمة نسيبتك بمعنى واسع كما قال بولس الرسول عن اليهود « إخوتي انسبائي حسب الجسد الذين هم إسرائيليون » [ رومية ٩ : ٣ — ٤ ] أما القديس ساويرس بطريرك انطاكية فيقول كما أن الملاك الذي ظهر ليوسف في حلم قال له : يا يوسف ابن داود ليذكره بوعد الله السابق أن المسيح سيأتي من نسل داود هكذا أيضاً بالمثل عبارة « اليصابات نسيبتك » ترجعنا إلى ماض بعيد .

في الواقع أنه كتب في سفر الخروج قبل أن تعطى الوصية التي تمنع أخذ زوجة من سبط آخر أن هارون أول رئيس كهنة حسب الناموس أخذ زوجة من سبط يهوذا اسمها اليشابع . أي اليصابات ابنة عمينا داب أخت نحشون [ خروج ٦ : ٢٣ ] ونحشون كان رئيس بني يهوذا [ الايام الأول ٢ : ١٠ متى ١ : ٤ ] أنظر التوجيه الحكيم جدا الذي للروح القدس كيف دبر أن زوجة زكريا أم المعمدان ، وقريبة

العذراء مريم تسمى اليصابات . ونحن نسترجع ماقد مضى حتى اليصابات التى تزوجها هارون وبواسطتها صار اتحاد السبطين ، وبواسطة اليصابات هذه صارت القرابة مع العذراء مريم(١) »

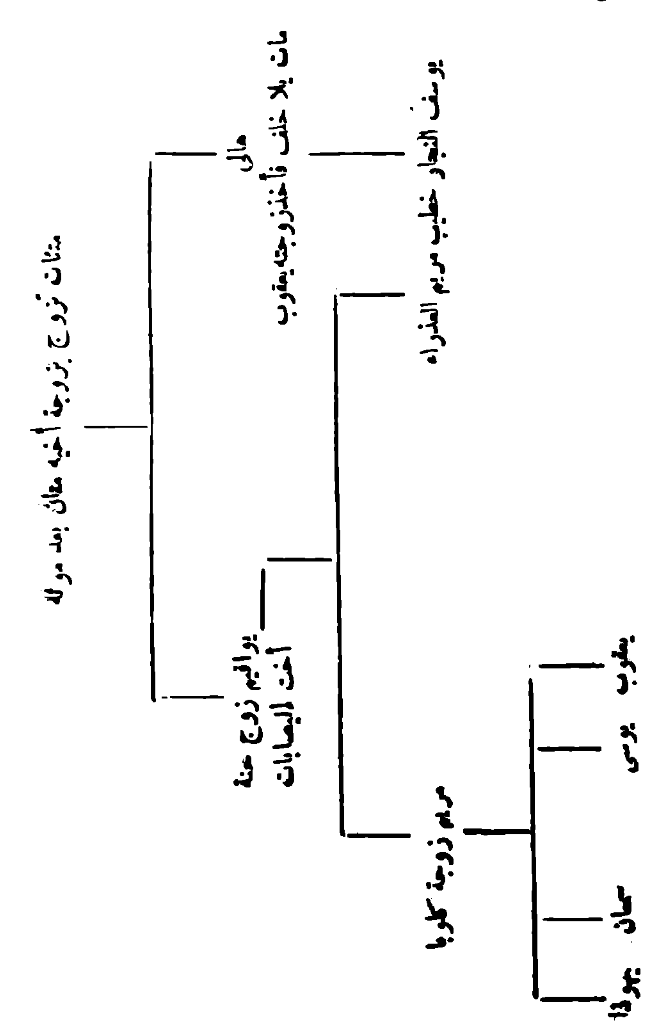
يريد أن يقول : إن هارون عليه السلام لما أراد أن يتزوج تزوج من سبط يهوذا لا من سبط لاوى . وماذا فى ذلك ؟ لقد كان هذا من قبل أن تنزل التوراة ، ويذكر فيها الحكم الذى يلزم كل امرأة أن تتزوج فى سبطها إن التوراة نزلت فى سيناء بعد خروج بنى إسرائيل من مصر وقد كان هارون متزوجاً قبل أن يغادر مصر . وماذا فى أن اليصابات امرأة زكريا عليه السلام كانت تسمى على اسم اليصابات امرأة هرون ؟ لقد تسمت كما تسمت مريم أم المسيح على اسم مريم أخت هرون وموسى . وإذا كانت العذراء مريم قريبة لاليصابات وإليصابات مسماه على اسم زوجة هرون فما الفائدة التى تعود على العذراء من هذا الاسم ؟ . وينبغى أن يعلم أن سبطى يهوذا ولاوى لم يتحدا بزواج هارون من اليصابات . سبط يهودا قد كان منه الملوك وسبط لاوى قد كان منه العلماء المشرعون . وبعد الرجوع من السبى البابلى صار الملك فى بنى لاوى بجانب قيامهم بالكهنوت . ونقول أخيراً : إذا كانت مريم من داود ، وإليصابات من هرون فكيف تمت القرابة ؟ من تزوج من ؟ أرأيت كيف يجهدون أنفسهم فى التماس دليل ؟ .

وهذه مسألة قديمة محيرة كتب فيها الكثيرون من قبل الإسلام .

---

(١) ص ٢٠ — ٢١ مريم العذراء فى التاريخ والطقس والعقيدة .

لقد وضع القديس يعقوب تلميذ المسيح الجدول الآتى كما يزعم الأسقف صيداروس : —



١ — أى أن يوسف ابن عم السيدة العذراء . [ موجز تاريخ المسيحية ج ١ ص ٣٦ ] .

٢ — اليصابات أخت حنة أم السيدة العذراء فهى خالة العذراء(١).

وهذا الجدول قد كان يمكن قبوله إذا كان عليه إجماع من متى ولوقا أو ذكره واحد منهما ولم يكذبه الآخر . فى انجيل لوقا الإصحاح الثالث : أن يوسف النجار بن هالى بن متثات بن لاوى بن ملكى بن ينا ... الخ وأنهى نسبه إلى ناثان بن داود . وفى انجيل متى الإصحاح الأول : أن يوسف النجار بن يعقوب بن متان بن أليعازر بن أليود بن أخيم ... الخ وأنهى نسبه إلى سليمان بن داود . فأى واحد من الاثنين تصدق ؟ وبالإضافة إلى ذلك فإن الأربعة [ يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا ] عليهم أشكال بين الكنائس يرجع أصله إلى دوام البتولية للعذراء . ولا داعى للحديث فى هذه المسألة هنا . ويمكنك مراجعتها فى شرح [ متى ١٢ : ٤٦ — ٥٠ ] .

وهذا الجدول الذى وضعه يعقوب ينهى نسب يوسف النجار خطيب مريم إلى ناثان بن دواد . ويدعى اليهود العبرانيون

---

(١) ص ١٩ — ٢٠ مريم العذراء .

أن المسيح المنتظر [ المسيا ] سيكون من نسل سليمان بن داود عليهما السلام وعلى ذلك النسب يلزم أن عيسى عليه السلام ليس هو المسيح المنتظر [ المسيا ] ولذلك قال « كالوين » من علماء النصارى « من أخرج سليمان عن نسب المسيح ، فقد أخرج المسيح عن كونه مسيحا » .

ثم لماذا يتعب النصارى أنفسهم فى نسبة يوسف النجار خطيب العذراء إلى ناثان . ولا صلة للمسيح إطلاقا بيوسف النجار . لأنهم متفقون معنا نحن المسلمين على ولادة المسيح بدون رجل ؟ ويلزم على هذا الاتفاق الحديث فى بيان نسب مريم العذراء رضى الله عنهـــا لا الحديث فى بيان نسب يوسف النجار .

ومن فمهم ندينهم . لقد أثبت القس سيداروس نقلا عن يعقوب أن اليصابات خالة العذراء ومن بنات هرون بنص إنجيل لوقا وعليه يثبت أن مريم من نفس السبط الذى منه اليصابات بنص سفر العدد .

وعلماء النصارى يزيلون الاشكال الذى بين متى ولوقا بقولهم « يجوز أن يكون متى كتب نسب يوسف ولوقا كتب نسب مريم ، ويكون يوسف ختن هالى ولا يكون لهالى ابن فنسب الختن إليه ، وأدخل فى سلسلة النسب » ، ولم يزيلوا الاشكال بل هو قائم لأن متى كتب ما نصه : « ويعقوب ولد يوسف رجل مريم » [ متى ١ : ١٦ ] وكتب لوقا ما نصه : « ابن يوسف بن هالى » [ لوقا ٣ : ٢٣ ] فثبت

أنهما يكتبان نسب يوسف لا نسب مريم فكيف يزيلون الاشكال بجواز أن لوقا كتب نسب مريم ؟

••• ••• •••

ننتقل بعد ذلك إلى القرآن فى قوله تعالى « ومريم ابنة عمران » وفى قوله « إذ قالت امرأة عمران » أى عمران يقصد القرآن ؟ هل هو والد موسى وهرون عليهما السلام أم هو والد مباشر لمريم ؟ هو والد موسى وهرون ، ويعتبر الجد الأعلى لمريم رضى الله عنها ، أى أن مريم تنتسب إلى عمران بن قهات بن لاوى بن يعقوب عليه السلام . ولا يعترض اليهود ولا النصارى فى هذه النسبة المجازية فإن فى التوراة هذا النص « واتخذ لامك لنفسه امرأتين اسم الواحدة عادة ، واسم الأخرى صلة فولدت عادة : يابال الذى كان أبا لساكنى الخيام ورعاة المواشى . واسم أخيه يوبال الذى كان أبا لكل ضارب بالعود والمزمار » [ تكوين ٤ : ١٩ — ٢٢ ] فإن « يابال » كان أبا لكل راع بدوى أى جداً . وإن « يوبال » تفرع منه كل ضارب بالعود والمزمار . أى أن كل مغن كان من نسل يوبال . وفى الانجيل يقول اليهود لعيسى « أبونا هو إبراهيم قال لهم يسوع : لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم » [ يوحنا ٨ : ٣٩ ] وبين إبراهيم وعيسى مئات من السنين . نحو ١٩٩٦ سنة .

وأوضح الكلام فأقول : قوله « ومريم ابنة عمران » نص واضح فى أنه قد يكون عمران الكبير رأس العائلة وهو الصحيح وأما قوله

« امرأة عمران » ، فإنه نص محتمل كالنص السابق تصح النسبة على الحقيقة لزوج اسمه عمران ، وتصح النسبة مجازاً لامرأة من نسل عمران الجد الكبير رب الأسرة . وهو الصحيح . إذ يقال مثلا : رجل قريش ، وبالقياس ابنة قريش وامرأة قريش ، ويقال ابن مصر وبالقياس ابنة مصر ، وامرأة مصر ويقال : فتى غسان، وبالقياس فتاة غسان وامرأة غسان وهذا على طريق الاضافة التي بمعنى اللام . والمعنى رجل لقريش وامرأة لقريش أي منسوب الى قريش وهكذا . ويجوز أن تكون الإضافة بمعنى من أي رجل من قريش وابنة من قريش وهكذا ، ويجوز في اللغة نسبة الذكر والانثى إلى الأب الروحي الذي يسترشد برأيه أتباعه ، فيقال مثلا : رجل موسى اي منتسب إلى شريعة موسى ، ورجل عيسى كذلك ، ورجل نبي الاسلام أيضاً . وبالمثل على طريق القياس : امرأة موسى أي امرأة لموسى منتسبة إلى شريعته . وهكذا ويقال أيضاً ابن موسى وابن عيسى وابن نبي الاســــلام لمن ينتسب إلى موسى وعيسى والنبي وبالقياس أيضاً ابنة موسى لمن تنتمي إلى شريعته وابنة عيسى وابنة نبي الاسلام وبناء على ما تقدم : فانه يجوز ابن عمران وابنة عمران وفتى عمران وفتاة عمران ورجل عمران وامرأة عمران منتسبين إلى رأس الأسرة عمرام بن قهات . وقصد القرآن في نظرنا نسبة مريم إلى الجد الأعلى ، لا الى الأب المباشر لأن آية الاصطفاء « إن الله اصطفى آدم ونوحا ، وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين » [ آل عمران ٣٣ ] ذكرت آدم أبو البشر ، ثم ذكرت منه نوح أب البشرية الثاني

وهذا تخصيص من عام ، ثم ذكرت آل ابراهيم وهم من ذرية نوح ، ثم ذكر من آل ابراهيم آل عمران «ذرية بعضها من بعض» يعنى أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض . وذكرت آية الاصطفاء عمرانا واحداً ، وآل عمران ، فيكون الذى فى قوله «ابنة عمران» و «امرأة عمران» ، هو المشار اليه فى آية الاصطفاء للعهد الذكرى ولو كان عمرانا آخر لوجدت قرينة تشير إلى ذلك الآخر . وعليه قال الإمام فخر الدين الرازى المفسّر «المراد عمران والد موسى وهرون ، وهو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فيكون المراد من آل عمران : موسى وهارون وأتباعهما من الانبياء(١)» وصحة النسب هكذا «عمران بن قهات بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم» ويصهر أخ لعمران .

... ... ...

ننتقل بعد ذلك إلى دليل آخر يثبت أن عيسى من نسل هرون عليه السلام من جهة الأم . وهو : —

أنه كان رَبِّيا من رابِّي اليهود الفرّيسيِّين العبرانيين . كان يطلق على عيسى عليه السلام لقب «رابّى» بفتح الراء بألف أو بغير ألف وكسر الباء مشدده وتفسيره «معلم» أو «ربونى» ، وما كان يطلق لقب

---

(١) ص ٢٤ ج ٨ تفسير فخر الدين الرازى

« رابى » أو « ربونى » أو « ربانى » إلا على المعلم من سبط لاوى .
[ وبيان ذلك : أمر الله موسى عليه السلام أمراً لازما أن يكون سبط لاوى وحده دون سائر الأسباط قائما بالتوراة واعيالها ومعلمالها ، ومحافظا عليها ، ويتفرق سبط لاوى بين بنى إسرائيل وغيرهم ليعلموا التوراة وعلى كل إسرائيلى وغيره أن يتعلم . لكن المعلمون يكونون من بين بنى لاوى خاصة . واختص الله من بين بنى لاوى نسل هرون ليكون منهم العلماء العظماء ، والكهنة الكبار . الذين هم وحدهم لهم حق الافتاء ، واستنباط الأحكام من التوراة والدخول إلى قدس الأقداس فى المكان المقدس ( خيمة الاجتماع = هيكل سليمان ) ومباركة الشعب « ولبنى هارون تصنع أقمصة ، وتصنع لهم مناطق ، وتصنع لهم قلانس للمجد والبهاء ، وتلبس هرون أخاك إياها ، وبنيه معهم وتمسحهم وتملأ أياديهم وتقدسهم ليكهنوا لى ، وتصنع لهم سراويل من كتان لستر العورة من الحقوين إلى الفخذين تكون . فتكون على هرون وبنيه عند دخولهم إلى خيمة الإجتماع ، أو عند اقترابهم إلى المذبح للخدمة فى القدس لئلا يحملوا إثما ، ويموتوا. فريضة أبدية له، ولنسله من بعده» [ خروج ٢٨ : ٤٠ — ٤٣ ] وبقية نسل لاوى ومنهم بنى موسى اختصهم الله بالوقوف « بين يدى بنى هرون على خدمة بيت الرب فى الدور والمخادع ، وعلى تطهير كل قدس وعمل خدمة بيت الله ، وعلى خبز الوجوه ودقيق التقدمة ورقاق الفطير ، وما يعمل على الصاج والمربوكات . وعلى كل كيل وقياس ولأجل الوقوف كل صباح لحمد

الرب وتسبيحه وكذلك فى المساء . ولكل إصعاد محرقات للرب فى السبوت والأهلة والمواسم بالعدد حسب المرسوم عليهم دائما أمام الرب وليحرسوا حراسة خيمة الإجتماع وحراسة القدس ، وحراسة بنى هرون اخوتهم فى خدمة بيت الرب » [ أخبار الأيام الأول ٢٣ : ٢٨ — ٣٢ ] وفى بركة موسى لبنى لاوى يقول لله عنهم « يعلمون يعقوب أحكامك واسرائيل ناموسك » [ تثنية ٣٣ : ١٠ ] .

ولو نظرت فى الأناجيل نظرة عابرة تجد أن عيسى عليه السلام كان معلما فى هيكل سليمان ولو لم يكن من نسل هارون ما كان يسمح له السكهنة الهارونيون بالتعليم فيه . وما كان السكهنة وطلاب العلم فى الهيكل ينادونه بلقب « ربىّ » . فى إنجيل يوحنا أن أثنين من تلاميذ يوحنا المعمدان ( يحي عليه السلام ) سمعا يحي يثنى على عيسى « فتبعا يسوع ، فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان . فقال لهما : ماذا تطلبان ؟ فقالا : ربى الذى تفسيره يامعلم أين تمكث ؟ . . . الخ » [ يوحنا ١ : ٣٧ — ٣٨ ] ومريم المجدلية نادته « وقالت له : ربونى الذى تفسيره يامعلم » [ يو ٢٠ : ١٦ ] ويقول يوحنا « ولما كان العيد قد انتصف صعد يسوع إلى الهيكل ، وكان يعلم » [ يو ٧ : ١٤ ] « فنادى يسوع وهو يعلم فى الهيكل قائلا : تعرفوننى ، وتعرفون من أين أنا ؟ ومن نفسى لم آت ، بل الذى أرسلنى هو حق » [ يو ٧ : ٢٨ ] « ثم حضر أيضا إلى الهيكل فى الضبح وجاء إليه جميع الشعب فجلس يعلمهم »

[ يو ٨ : ٢ ] وقد تقدم إليه عالم من علماء الدين « وقال له أيها المعلم الصالح . أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية ؟ .. الخ » [ متى ١٩ : ١٦ ] .

... ... ...

وثمة دليل ثالث : وهو ذهاب مريم رضى الله عنها لما أحست بالحمل إلى مدينة يهوذا . لماذا ذهبت إلى مدينة يهوذا ؟ ذهابها دليل على أنها من نسل هارون . وبيان ذلك :

قلنا إن بنى لاوى اختصهم الله بحفظ التوراة وتعليمها للناس . ونقول هنا : إن الله فرض عليهم أن يعيشوا متفرقين فى الأرض ، ولا تكون لهم أرض معينة فى أرض كنعان « بلاد فلسطين » للزراعة والحصاد بل فرض الله أن تقسم ارض كنعان إذا ما دخلها بنو إسرائيل على الأسباط بالقرعة ، ويعطى كل سبط مدنا للسكن لمن يريد الاقامة منه من اللاويين . وقد تم ذلك فى حينه قبل مجىء الإسلام لينسخ شريعة موسى ، فحينما قسم يشوع بن نون فتى موسى الأرض على الأسباط طلب منه اللاويون مدنا للسكن . فأعطاهم . ولبنى هرون من بين بنى لاوى كان لهم ثلاث عشرة مدينة . من سبط بنيامين أربع مدن ، ومن سبط يهوذا وشمعون تسع مدن . فى سفر يشوع ما نصه « ثم تقدم رؤساء آباء اللاويين إلى ألعازار الكاهن ، وإلى يشوع بن نون . وإلى رؤساء آباء أسباط بنى إسرائيل ، وكلموهم فى شيلوه فى أرض كنعان قائلين : قد أمر الرب على يد موسى أن نعطى مدنا للسكن مع

مسارحها لبهائمنا . فأعطى بنو إسرائيل اللاويين من نصيبهم حسب قول الرب هذه المدن مع مسارحها . . . فكان لبنى هارون الكاهن من اللاويين بالقرعة ثلاث عشرة مدينة من سبط يهوذا ، ومن سبط شمعون ، ومن سبط بنيامين .

وأعطوا لبنى هرون الكاهن مدينة ملجأ القاتل : حبرون مع مسارحها ، ولبنة ومسارحها ويتير ومسرحها ، وأشتموع ومسرحها ، وحولون ومسرحها ، ودبير ومسرحها ، وعين ومسرحها ، ويطة(١) ومسرحها ، وبيت شمس ومسرحها . تسع مدن من هذين السبطين . ومن سبط بنيامين : جبعون ومسرحها ، وجبع ومسرحها . عناثوث ومسرحها ، وعلمون ومسرحها . أربع مدن . جميع مدن بنى هرون الكهنة ثلاث عشرة مدينة مع مسارحها ، ( يشوع ٢١ ) .

فأنت ترى من هذا أن جميع الكهنة يسكنون فى أرض يهوذا وشمعون وبنيامين . وقد علمت من قبل أن اليصابات أمرأة زكريا من نسل الكهنة الهارونيين وسكنها فى أرض يهوذا فذهاب مريم بعد الحمل

---

(١) يقول الدكتور فردريك ، فارار فى كتابه : حياة المسيح : ان يطة هى المدينة التى نشأ فيها يحى عليه السلام وأمه اليصابات وأبوه زكريا عليه السلام ، وهى من مدن أرض يهوذا . يقول فى ص ١١ ما نصه « يوحنا فى صغره عاش فى منزل أبيه الكاهن الذى بلا لوم فى أرض يوطاه فى الجزء الجنوبى لقسم يهوذا . غير بعيد من حبرون » .

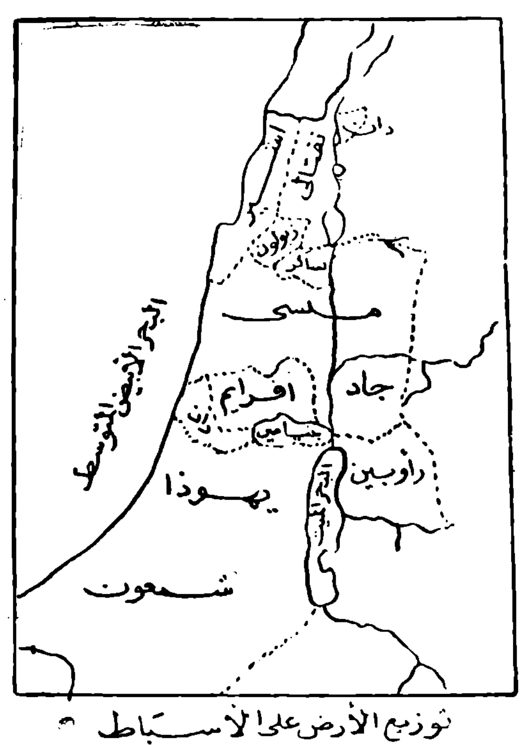
إلى اليصابات قريبتها دليل على أنهما يسكنان معا فى أرض واحدة وفى مدينة واحدة . يقول لوقا « فقالت مريم للملاك : كيف يكون هذا ، وأنا لست أعرف رجلا ؟ فأجاب الملاك وقال لها : الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك . . . فقالت مريم : هوذا أنا أمة الرب. ليكن لى كقولك فمضى من عندها الملاك . فقامت مريم فى تلك الأيام وذهبت بسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهوذا . ودخلت بيت زكريا وسلمت على اليصابات » [ لوقا ١ : ٣٤ — ٣٩ ] لماذا إذاً مع هذا الوضوح يقول النصارى إنها ذهبت إلى الناصرة بعد سلامها على اليصابات ثم رجعت فولدت فى بيت لحم فى أرض سبط يهوذا ؟ إن ذهابها إلى الناصرة لم يحدث البتة . لأن الناصرة قرية من نصيب سبط زبولون والهارونيون لا يسكنونها(١) . والعداء شديد بين السامريين وفيهم سبط زبولون وبين العبرانيين وفيهم سبط يهوذا عداء فى ذلك الوقت لا يطاق كما يقول يوحنا « لأن اليهود لا يعاملون السامريين » [ يوحنا ٤ : ٩ ] لكن ما الذى دفعهم إلى القول بذهابها إلى الناصرة ؟ ذلك سؤال أجبنا عنه فى غير هذا الكتاب . وثمة سؤالين آخرين أجبنا عنهما أيضاً فى كتاب (٢) مستقل وهما لماذا غير النصارى نسب عيسى من هارون إلى داود ؟ . وهل مع هذا التغيير سلم لهما هذا النص الذى

---

(١) أنظر خريطة توزيع الأرض على الأسباط ، واعرف أن يوسف عليه السلام قد أنجب أفرايم ومنسى بفتح السين مشددة ، وأن يعقوب عليه السلام صيرهما كأولاده فلذلك حسب سبط يوسف بسبطين نظير فضله عن اخوته .

(٢) أنظر كتابنا : المسيا .

ورد فى أربعة أناجيل ؟ النص : « وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلا : ماذا تظنون فى المسيح ؟ ابن من هو ؟ قالوا له : ابن داود . قال لهم : فكيف يدعوه داود بالروح ربا قائلا : قال الرب لربى : أجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك . فإن كان داود يدعوه ربا فكيف يكون ابنه ؟ » [ متى ٢٢ : ٤١ — ٤٥ مرقس ١٢ : ٣٥ — ٣٧ لوقا ٢٠ : ٤١ — ٣ برنابا ٤٢ : ٢٠ — ٣١ ] .




توزيع الأرض على الأسباط

وهى مملكة بنى إسرائيل فى أقصى اتساعها فى عهد داود ١٠٩٦ ق . م



# الفصل الثانى

# القصة الأسطورية

معنى الأسطورة : القصة التى تصدّق أو تكذب . والتكذيب فيها أقرب من الصدق إلى العقل .

وفى القرآن قصص يقال انه من قبيل الأسطورة . وذلك القول باطل لأنه لو كان أسطورة فى كتاب غير القرآن . فليس بلازم أن يكون أسطورة فى القرآن وإلا فما يكذبه الإنجيل من قصص التوراه يكون من أساطير التوراة وبيان ذلك :

يقولون إن قصة أصحاب الكهف قصـــة أسطورية . وإننا لنسألهم ما الذى جعلها أسطورية ؟ سيقولون لأنها لم ترد فى الأناجيل المعتمدة . وإنا لنقول لهم : هل كل ما ورد فى غير الأناجيـــل من حوادث التاريخ من قبيل الأساطير ؟ سيقولون على أحسن الفروض بعضه لا كله . وإلا يتوجه الشك فى عصر الشهداء واضطهادات القديسين . والتقاليد المأثورة عن الآباء الأوائل الذين وضعوا طقوس الكنيسة وشعائرها . نقول لهم : فلماذا لا تكون قصة أهل الكهف من البعض الصحيح ؟

قبل ظهور الاسلام سنة ٤٨٩ ميلادية كان قد هاجر فريق من العلماء إلى فارس فسمح لهم الإمبراطور الفارسى بالعيش فيها ، وأكرم وفادتهم فأسسوا مدرسة « جندى سابور » وكتبوا كثيراً من العلوم باللغة السريانية . ومن الذى كتبوه قصة أصحاب الكهف ، وقصة الذى

مر على قرية خاوية على عروشها ، وقالوا إنه أهيالك تلميذ إرمياء النبي أيام سبي اليهود إلى بابل وقالوا إن المدة ستون عام(١) بغض النظر عما إذا كان المكتوب حقاً أم باطلا فإنهم أولا وأخيراً بشر يخطئون ويصيبون . أليست القصة مكتوبه فى كتب التاريخ قبل الاسلام سواء اعتبرها الناس أسطورة أو حقيقة ؟ إنها مكتوبة ما فى ذلك شك . ولو أن عالما حجة استطاع أن يبرهن على أن قصة ما فى نظر الناس أسطورة هى حقيقة بأدلة لا ريب فيها . ألا يقبل قوله ولو من تلاميذه الذين يثقون فيه ؟ لقد جاء الاسلام وبين أن قصة أهل الكهف التى كانت فى نظر الناس وما تزال فى أعين النصارى أسطورة هى حقيقة فأى عيب فى ذلك ؟ أليس الله الذى رأى وسمع هو الذى يقص ويخبر ؟ فلماذا لا نصدق تصحيح الله للذين كتبوا وأرخوا ؟

إن القرآن كما قد رأيت وترى صحح اختلافات فى التوراة وفى الإنجيل . بأدلة من التوراة نفسها ، وبأدلة من الإنجيل نفسه وهى كتب مقدسة فى نظر أهل الكتاب يدعون أن كل حرف فيها من وحى الله . وأن الشك بعيد عنها بعد المشرقين . وإذا كانت الكتب المقدسة فهى نائية عن الباطل فهل كتب التواريخ هى النائية ؟ وإذا كان القرآن قد

(١) فى القرآن مئة . وقوله الحق واعرف أن ارمياء كان معاصرا ليوشيا وأن قورش أصدر الامر بعودة اليهود من بابل ٥٣٦ ق م وقد رجع اليهود مع عزرا ٤٥٨ ق م وبنى نحميا أسوار أورشليم وظل واليا إلى ٤٢٠ ق . م

صحح الكتب المقدسة ولا أحد قد استطاع تكذيبه . أبعيد عليه أن يصحح كتب التواريخ وهى فى أغلب أمرها قائمة على الظن والهوى ؟

وإنى لأورد لك أمثلة خالف فيها الإنجيل ، التوراة ، ومع هذه المخالفة يقول اليهود إن التوراة الحالية من الله . ويقول النصارى إن التوراة والإنجيل المتداولين من الله .

١ — فى رسالة يهوذا « وأما ميخائيل رئيس الملائكة . فلما خاصم إبليس محاجا عن جسد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء ، بل قال : لينتهرك الرب » [ يهوذا ٩ ] فمخاصمة ميخائيل إبليس عن جسد موسى لم تذكر فى كتاب من كتب التوراة .

٢ — وفى هذه الرسالة أيضاً « وتنبأ عن هؤلاء أيضاً أخنوخ السابع من آدم قائلا : هوذا الرب قد جاء فى ربوات قديسيه . ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم التى فجروا بها . وعلى جميع الكلمات الصعبة التى تكلم بها عليه خطاة فجار » [ يهوذا ١٤ — ١٥ ] ولا أثر لهذا الخبر فى كتب التوراة .

٣ — فى رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس « وكما قاوم ينيس ويمبريس موسى كذلك هؤلاء أيضاً يقاومون الحق » [ تيموثاوس

الثانية ٣ : ٨ ] وهذا الحال فى الاصحاح السابع من سفر الخروج . ولا أثر لهذين الاسمين .

وقد سبق أن ذكرنا أمثلة على إختلاف نسخ التوراة الثلاثة وقلنا إن القرآن يصحح لهم ما اختلفوا فيه . وهنا نبين . أن تصحيح القرآن يكون بأدلة معروفة للدارسين . ونبين أيضاً أن ذكر قصة فى نسخة لا يكون مبررا لعيب القرآن ، لا يكون سببا فى جعلها أسطورة إذ لم ترد فى الجميع .

١ — قصة إبراهيم النبى مع الملائكة .

قالت التوراة إن الله حل ضيفا على إبراهيم وأكل وشرب . وقال القرآن إن الله لم يحل ضيفا على إبراهيم بل الملائكة هم الذين مروا عليه ضيوفا ولم يأكلوا ولم يشربوا[1] . انظر سنبين لك تصحيح القرآن بأدلة من التوراة نفسها ، معروفة للدارسين . تقول التوراة ما نصه :

« وظهر له الرب عند بلوطات ممرا . وهو جالس فى باب الخيمة ، وقت حر النهار . فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه . فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض ، وقال

---

(١) سورة هود ٦٩ — ٧٣ وسورة الذاريات ٢٤ — ٢٨

ياسيد . إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك ، ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون لأنكم قد مررتم على عبدكم ، فقالوا هكذا تفعل كما تكلمت . فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال أسرعى بثلاث كيلات دقيقاً سميذا . أعجنى واصنعى خبز ملة ، ثم ركض إبراهيم إلى البقر ، وأخذ عجلا رخصا وجيداً وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله ، ثم أخذ زبدا ولبنا والعجل الذى عمله ووضعه قدامهم . وإذ كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا .

وقالوا له : أين سارة امرأتك ؟ فقال . ها هى فى الخيمة . فقال : إنى أرجع إليك نحو زمان الحياة ، ويكون لسارة امرأتك ابن . وكانت سارة سامعة فى باب الخيمة وهـــو وراءه . وكان إبراهيم وسارة شيخين متقدمين فى الأيام . وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء فضحكت سارة فى باطنها قائلة : أبعد فنائى يكون لى تنعم وسيدى قد شاخ ؟ فقال الرب لإبراهيم : لماذا ضحكت سارة قائلة . أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت ؟ هل يستحيل على الرب شىء ؟ فى الميعاد أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن » [ تكوين ١٨ : ١ — ١٤ ] .

فى القصة أن الذى ظهر هو « الرب » وأنه أكل . فإذا كان هو « الرب » حقيقة فإنه لم يأكل لأن الرب لا يأكل ولا يرى أيضاً فى التوراة قال الله لموسى « لا تقدر أن ترى وجهى . لأن الإنسان لا يرانى ويعيش » [ خروج ٣٣ : ٢٠ ] .

وإن كان لفظ « الرب » مجازا(١) والمراد به ملك كبير من الملائكة فإن الملائكة لا تأكل لأن طبيعة تكوينها تختلف عن طبيعة تكوين الإنسان . ولذلك لما نزل المنّ والسلوى على بني إسرائيل في سيناء تعجبوا واندهشوا ولغرابة الطعام قالوا إنه خبز الملائكة « وأمطر عليهم منّا للأكل وبر السماء أعطاهم أكل الإنسان خبز الملائكة . أرسل عليهم زادا للشبع . . . الخ » [ مزمور ٧٨ : ٢٤ — ٢٥ ] على كلا المعنيين فإن طعام إبراهيم لم يأكله أحد من الضيوف للنصوص التي ذكرناها فإذا صرح القرآن أن الملائكة لم تأكل هل يعاب القرآن لأنه خالف ما عندهم بما عندهم ؟ إنه صحح لهم لأن الرسول ﷺ مهيمن مع كونه مصدقا .

والحق أن لفظ « الرب » ملاك من الملائكة على المعنى المجازي بدليل أن رؤية الله ممتنعة كما رأينا وأنه لما رفع عينيه ونظر « إذا ثلاثة رجال » فالرب واحد منهم كيف يكون ربا وهو لا يرى؟ وبدليل أن التوراة تعبر عن الملاك بلفظ « الرب » لما ارتحل بنو إسرائيل من مصر مع موسى عليه السلام « كان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق ، وليلا في عمود نار ليضيء لهم» [ خروج ١٣ : ٢١ ]

---

(١) لو قلت : رأيت أسدا في الغابة فلفظ الأسد حقيقة وإذا قلت : رأيت أسدا في منزلنا فلفظ الأسد مجاز لأنك تقصد رجلا شجاعا هيبها بالأسد واستعرت لفظ الأسد من الحيوان الحقيقي للرجل الشجاع . كذلك لفظ «الرب» على الحقيقة إله الله عز وجل . وعلى المجاز يراد به السيد « إن ربي أحسن مثواي » أي سيدي ويراد به الملاك كما ترى .

والمقصود من « الرب » ملك من الملائكة لقوله «فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل، وسار وراءهم، وانتقل عمود السحاب من أمامهم . ووقف وراءهم » [خروج ١٤ : ١٩] وعلى ذلك . هل إذا عبر القرآن بأن ضيوف إبراهيم النبى كانوا ملائكة يعاب على أنه ذكر اللفظ الحقيق لا المجازى ؟ .

٢ – قصة إلياس عليه السلام :

لم تذكر فى التوراة السامرية ، والسامريون ينكرون نبوة الياس . هل يحق للسامريين أن يعيبوا القرآن(١) فى أنه ذكر قصة لا يؤمنون بها؟ ليس لهم أن يعيبوا مادامت القصة عند غيرهم وقد كان النبى أميا غير دارس . وهل يحق للسامريين أن يقولوا عما فى القرآن وليس له نظير عندهم إنه من قبيل الأساطير ؟

لقد كان لأخآب ملك السامريين ٩٠٠ ق . م صنم أسمه « البعل » وكانت أمرأته « إيزابل » تعتنى به ، وكان للبعل أربعمائة وخمسين كاهنا وأربعمائة كهنة للسوارى . وذات يوم طلب إلياس « إيليا » من أخآب أن يعقد إجتماعا بينه وبين أنبياء البعل أى كهنته تقول التوراة « فأرسل أخآب إلى جميع بنى إسرائيل ، وجمع الأنبياء إلى جبل الكرمل .

---

(١) الصافات ١٢٣ — ١٢٧ .

فتقدم إيليا إلى جميع الشعب وقال : حتى متى تعرجون بين الفرقتين ؟ إن كان الرب هو الله فاتبعوه وإن كان البعل فاتبعوه . فلم يجبه الشعب بكلمة . ثم قال إيليا للشعب . أنا بقيت نبيا للرب وحدى ، وأنبياء البعل أربع مئة وخمسون رجلا . فليعطونا ثورين فيختاروا لأنفسهم ثورا واحدا ويقطعوه ويضعوه على الحطب ، ولكن لا يضعوا نارا وأنا أقرب الثور الآخر ، وأجعله على الحطب ولكن لا أضع نارا ، ثم تدعون باسم آلهتكم ، وأنا أدعو باسم الرب . والإله الذى يجيب بنار فهو الله . فأجاب جميع الشعب وقالوا : الكلام حسن .

فقال إيليا لأنبياء البعل : اختاروا لأنفسكم ثورا واحدا ، وقربوا أولا . لأنكم أنتم الأكثر وأدعوا باسم آلهتكم ولكن لا تضعوا نارا فأخذوا الثور الذى أعطى لهم وقربوه . ودعوا باسم البعل من الصباح إلى الظهر قائلين : ياهعل أجبنا . فلم يكن صوت ولا مجيب . وكانوا يرقصون حول المذبح الذى عمل . وعند الظهر سخر بهم إيليا ، وقال : أدعوا بصوت عال لأنه إله . لعله مستغرق ، أو فى خلوة ، أو فى سفر ، أو لعله نائم فيتنبه . فصرخوا بصوت عال ، وتقطعوا حسب عادتهم بالسيوف والرماح حتى سال منهم الدم . ولما جاز الظهر وتنبأوا إلى حين إصعاد التقدمة ، ولم يكن صوت ولا مجيب ولا مصغ . قال إيليا لجميع الشعب : تقدموا إلىّ ، فتقدم جميع الشعب إليه ، فرمم مذبح الرب المنهدم ، ثم أخذ إيليا اثنى عشر حجراً بعدد أسباط بنى يعقوب الذى

كان كلام الرب إليه قائلا : إسرائيل يكون اسمك . وبنى الحجارة مذبحا باسم الرب وعمل قناة حول المذبح تسع كيلتين من البزر ، ثم رتب الحطب ، وقطع الثور ووضعه على الحطب وقال : املأوا أربع جرات ماء ، وصبوا على المحرقة وعلى الحطب . ثم قال : ثنوا فثنوا . وقال ثلثوا فثلثوا ، فجرى الماء حول المذبح وامتلأت القناة أيضا ماء .

وكان عند إصعاد التقدمة أن إيليا النبى تقدم وقال أيها الرب إله إبراهيم وإسحق وإسرائيل ، ليعلم اليوم أنك أنت الله فى إسرائيل وأنى أنا عبدك وبأمرك قد فعلت كل هذه الامور ، استجبنى يارب استجبنى ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله وأنك أنت حولت قلوبهم رجوعا .

فسقطت نار الرب . وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التى فى القناة . فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم . وقالوا : الرب هو الله . الرب هو الله . » [الملوك الأول ١٨ : ٢٠ — ٣٩ ] . هذه هى المعجزة وللمزيد من البيان [ كل القراءة فى التوراه .

وما يقال عن قصص التوراه يقال عن قصص الأنجيل ، سواء ما كان فى الاناجيل الاربعة أو غيرها . وأيضاً عن كتب التاريخ بل إن ذكر القرآن لأشياء ليست فى الاربعة دليل على صحة نبوة النبى ﷺ بتأكيد تام ليس فى الاربعة أنه كان يخلق من الطين طيرا بإذن الله ولكنه فى أناجيل غير مشهورة ومختفية عن الاعين . ويعترف النصارى

بوجودها قبل ظهور الإسلام مثل انجيل توما وانجيل الطفولية فلا يمكن لأحد أن يرتاب فى صدق النبى كيف وقد أتى بالخفى من العلم وقد كان أمياً غير دارس .

* * * * * * * * *

وبعدما يبين صاحب الفن القصصى معنى القصة الأسطورية وأنها لون من ألوان الأدب الرفيع يقول « يجب أن نحرص على فتح هذا الباب ولا نوصده فى وجه الذين يقولون بوجود الأساطير فى القرآن الكريم . وإنما يجب أن نفسره التفسير الذى اهتدى إليه الرازى ، ووقف عنده الأستاذ الإمام ولم ينكره على نفسه القرآن الكريم . فإذا ما قال المشركون إن بالقرآن أساطير قلنا : ليس عليه فى ذلك بأس وإنما البأس عليكم لأنكم قد عجزتم عن فهم مقاصده وقعدتم عن المضى معه فى هذا السبيل . وإذا ما قال المستشرقون : إن بعض القصص القرآنى كقصة أصحاب الكهف أو قصة موسى فى سورة الكهف قد بنيت على بعض الأساطير(١) قلنا : ليس فى ذلك فى القرآن من بأس فإنما هذه السبيل سبيل الآداب العالمية(٢) . . . الخ » ويستدل على ذلك بأدلة قد أوردها فى حديثه عن التمثيل أبرزها قصة الذى مر على قرية وقصة إبراهيم لما طلب من الله أن يريه كيف يحيى الموتى . وسنتحدث عن ذلك فى حديثه عن التمثيل فيما بعد .

---

(١) راجع مادة أصحاب الكهف ومادة إلياس من دائرة المعارف الإسلامية.
(٢) ص ١٨٢ الفن القصصى .



# الفصل الثالث

# الأساليب الرائقة

فى القرآن الكريم أن السموات والأرض تكلمتا «قالتا أتينا طائعين» لما قال الله لهما «أئتيا طوعا أو كرها» [ فصلت ١١ ] وقد قال العلماء إن ذلك من أساليب التمثيل . لو قدر ولو فرض أن السموات والأرض يتكلمان لقالا بصوت مسموع ذلك الكلام. يقول إمامنا أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى يرحمه الله فى تفسير الكشاف «ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالهما : أنه أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه . ووجدتا كما أرادهما . وكانتا فى ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وهو من المجاز الذى يسمى التمثيل . ويجوز أن يكون تخييلا . ويبنى الأمر فيه على أن الله تعالى كلم السماء والأرض وقال لهما : أئتيا شئتما ذلك أو أبيتماه . فقالتا : أتينا على الطوع لا على الكرة . والغرض : تصوير أثر قدرته فى المقدورات لا غير من غير أن يحقق شىء من الخطاب والجواب. ونحوه قول القائل قال الجدار للوتد : لم تشقنى ؟ قال الوتد : اسأل من يدقنى . فلم يتركنى ورائى الحجر الذى ورائى »

أسلوب استنطاق الجمادات هذا من الأساليب الراقية فى نظر الناس. استحسنوه واستملحوه من قبل مجىء الاسلام . وجاء منه شىء فى القرآن كما نرى — وكما يرى صاحب الفن القصصى — هذا الشىء جميل لا عيب فيه . وإنما العيب أن نقـــول بأن فى القرآن كلام لم يكن . وندخل ذلك فى باب القصة . وليس هو فى شىء من القصة المحبوكة المعقدة المنتهية إلى غاية .

إن فى التوراة هذا النوع من الأسلوب . يقول يوثام لليهـــود السامريين « اسمعوالى يا أهل شكيم يسمع لكم الله . مرة ذهبت الأشجار لتمسح عليها ملـكا . فقالت للزيتونه : املـكى علينا . فقالت لها الزيتونة: أأترك دهنى الذى به يـكرمون بى : الله والناس . وأذهب لـكى أملك على الأشجار ؟ ثم قالت جميع الأشجار للتينة : تعالى أنت واملـكى علينا فقالت لها التينة : أأترك حلاوتى وثمرى الطيب وأذهب لـكى أملك على الأشجار ؟ فقالت الأشجـار للـكرمة تعـالى أنت واملـكى علينا . فقالت لها الـكرمة : أأترك مسطارى(١) الذى يفرح الله والناس وأذهب لـكى أملك على الأشجار ؟ ثم قالت جميع الأشجار للعوسج تعال أنت واملك علينا . فقال العوسج للاشجـــار : إن كنتم بالحق تمسحوننى عليـكم ملـكا . فتعالوا واحتموا تحت ظلى . والا فتخرج نار من العوسج وتأكل كل أرز لبنان » [ قضاة ٩ : ٧ — ١٥ ] من يعقل أنه الأشجار تكلمت حقيقة ؟ لا أحد يعقل ومن يقول بناء على هذا الـكلام: إن فى التوراة أساطير لأن منها أشجار تتكلم ؟ لا أحد يقول .

وليس ذلك فى التوراة فقط ، بل فى الآداب العالمية القديمـــة والمعاصرة . والمثل على ذلك كتاب كليلة ودمنة وهو خير كتاب ألف فى فن القصة على لسان الحيوان من قبل الاسلام بمئات السنين ومما جاء فيه على لسان جرذ « ما الإخوان ولا الأعوان ولا الأصدقاء إلا بالمال .

---

(١) ضرب من الشراب فية حموضة ( مختار الصحاح )

ووجدت من لا مال له إذا أراد أمراً قعد به العدم عما يريده ، كالماء الذى يبقى فى الأودية من مطر الشتاء . لا يمر إلى نهر ، ولا يجرى إلى مكان فتشربه أرضه . ووجدت من لا اخوان له لا أهل له . ومن لا ولد له لا ذكر له . ومن لا مال له لا عقل له ولادنيا ولا آخرة له . لأن الرجل إذا افتقر قطعه أقاربه وإخوانه . . . ألخ » [ باب الحمامة المطوقة ]

وقد برع فى هذا الفن « لا فونتين » وحاكاه أمير شعراء مصر فى العصر الحديث أحمد شوقى بك رحمه الله . أو قل حاكى كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة فهما فى الشرق منتشران والشرق أصلهما . ومنه تغربا فى بلاد الغرب . ومن كلام شوقى :

برز الثعلب يوما فى ثياب الواعظينا

ومشى فى الناس يهدى ويسب الماكرينا

ويقول الحمد لله إله العالمينا . . . ألخ

# الفصل الرابع

# الإعجاز والهدف في القصة

كل ما يهدف إليه صاحب الفن القصصى : أن القصة فى القرآن موضوعة للعبرة وللموعظة . وليس بلازم أن نقول إن اللفظ فى القصة للاعجاز . أو أن تكون القصة فى حد ذاتها وقعت أم لم تقع .

وعلى قوله هذا فإنه يتعين عدم البحث فى كلمات القرآن كلها لنرى لماذا وردت فى القرآن . ولم يرد غيرها سواء كانت الكلمات فى القصص أو فى غير القصص ؟ مع إن كلام الله كل لا يتجزأ . واللفظ فى القصة مثل اللفظ فى غير القصة . كل لفظ يدل على إعجاز .

سأورد أمثلة أبين بها أن الإعجاز والهدف فى القصة لا زمان جنبا إلى جنب . وأن الاعجاز فى كلمات القصة مثل الاعجاز فى سائر كلمات الله . وأن الاعجاز والهدف كما يكونان فى القصة يكونان أيضاً فى الأخبار الشبيهة بالقصة .

١ — أى عبرة وموعظة فى قول القرآن « وإذ قال إبرهيم لأبيه آزر : أتتخذ أصناماً آلهة؟ »لو كان الهدف هو العبرة والموعظة فقط لكان يكفى « وإذ قال إبراهيم لأبيه : أتتخذ أصناما آلهة ؟» فلماذا قال « آزر » وهى بعيدة عن موضع العبرة .وأيضاً ليس فى التوراة أنه آزر بل تارح؟ إن قوله « آزر » إعجاز بجانب ما فى القصة من عبر ومواعظ . لأنه بهذه الكلمة يصحح التوراة العبرية والسامرية والإنجيل أيضاً . وهل كان الرسول دارساً حتى يقال إنه يصحح ؟ أليس هذا وحى من الله ؟

يقول كاتب التوراة العبرية « وعاش ناحور تسعا وعشرين سنة وولد تارح . وعاش ناحور بعدما ولد تارح مئة وتسع عشرة سنة . وولد بنين وبنات . وعاش تارح سبعين سنـــة وولد ابرام وناحور وهاران . وولد هاران لوطا . ومات هاران قبل تارح أبيه فى أرض ميلاده فى أور الكلدانيين » [ تكوين ١١ : ٢٤ — ٢٨ ] ويقول الكاتب « وكانت أيام تارح مئتين وخمس سنين . ومات تارح فى حاران [ تكوين ١١ : ٣٢ ] وجاء فى سفر الأعمال عند النصـــارى : أن استفانوس قال لليهود عن إبراهيم عليه السلام « فخرج حينئذ من أرض الكلدانيين . وسكن فى حاران . ومن هناك نقله بعد ما مات أبوه إلى هذه الأرض التى أنتم الآن ساكنون فيها » [ أعمال ٧ : ٤ ] وجاء فى سفر التكوين أنه « كان أبرام ( إبراهيم ) ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران » [ تكوين ١٢ : ٤ ] من هذه النصوص يتبين :

أن تارح ولد إبراهيم وله من العمر ٧٠ سنة ولما كان إبراهيم قد هاجر من حاران بعد موت أبيه وكان عمره ٧٥ يكون سنى تارح ١٤٥ سنة ويلزم على ذلك كذب الكاتب فى قوله « وكانت أيام تارح مئتين وخمس سنين » والدليل على كذبه أن كلام استفانوس موافق للتوراة السامرية وفيها أن تارح مات وله من العمر ١٤٥ وأن ناحور مات فى سن ١٤٤ فلا يرجح أن تارح يعيش أكثر من ذلك لأن العمر كان يقصر بعد الطوفان . ولأن إبراهيم لما بشرته الملائكة بغلام عليم حسب من المحال أن يولد للإنسان أولاد وهو فى سن المائة . ولو كان قد ولد وأبوه

فى سن المئة والثلاثين لم ينطق بما نطق به [ تكوين ١٧ : ١٧ ] — أنظر لقد كانت حياة تارح ٢٠٥ سنة حسب نص العبرية وأنه حسب الحساب الذى ذكرناه كانت حياته ١٤٥ سنة . ألا يدل ذلك على ولد قد ولد بعد تارح فى فترة الستين سنة التى بين ٢٠٥ و ١٤٥ ويكون هو آزر ؟ وألا يدل ذلك على أن كلمة « آزر » فى القرآن أوردت إشكالا كبيراً بين العبريين والسامريين والنصارى ؟ ويقوى ماذهبنا إليه أن أن التوراة اليونانية ذكرت قينان بين أرفكشاد وشالح ولا يوجد قينان فى العبرية والسامرية [ تكوين ١١ : ١١ — ١٤ ] وقد ذكره لوقا فى بيان نسب عيسى عليه السلام [ لو ٣ : ٣٦ ] وإليك بيان النسب :

سام بن نوح — أرفكشاد — شالح — عابر — فالج — رعو — سروج — ناحور — تارح . وقد أنجب تارح — بفتح الراء — أولادا ثلاثة : إبراهيم وناحور وهاران وولدهاران لوطا عليه السلام. وقد أنجب إبراهيم : ١ — إسماعيل من هاجر ٢ — إسحق من سارة ٣ — زمران ٤ — يقشان ٥ — مدان ٦ — مديان ٧ — يشباق ٨ — شوحا . الأولاد الستة من قطورة .

٢ — وأنى لأسأل صاحب الفن القصصى فى هذا الصدد : لماذا ورد نفى إشاعة هاروت وماروت عقب قوله « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم » ؟ هل ورد اعتباطا ؟ وما الفائدة فى ذكر قصة هاروت وماروت فى هذا الموضع وما العبرة ؟ ولماذا قال « نبذ فريقه

حق الذين أوتو الكتاب ، ولم يقل عموم أهل الكتاب ؟ لماذا هذه الدقة فى التعبير ؟ .

فى زمن عيسى عليه السلام كان اليهـــود العبرانيون ينقسمون إلى فريقين ١ — الفريسيون ٢ — والصدوقيون وكان الفريسيون يستعملون السحر ويطوفون بكتبه فى القرى — كما ذكر يوسيفوس فى تاريخه — وكانوا يزعمون أنهم على علم باسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى، ويزعمون أنهم يعرفون العزائم التى يتلونها على العفاريت وبها تأتمر العفاريت بأمرهم ، ويعرفون الرقى التى تشفى من الأمراض ، وكانوا يستعملون اللعاب فى شفاء الأمراض . يقول بار عقيبة فى قصص السنهدرين ، فى التلمود « الذى يقرأ سحرا على جرح ، ويبصق على جرح لا نصيب له فى الحياة الأخرى » ويقول صموئيل « لا يليق بالإنسان أن يضع لعابا صائما على العينين يوم السبت[1] » ولما ظهر عيسى عليه السلام وكان الفريسيون قد أقنعوا عامة اليهود والناس بقوة السحر على شفاء الأمراض وطرد الجن من أجساد الناس وماشابه ذلك كانت معجزات عيسى عليه السلام من جنس ما برع فيه علماء الفريسيين . لقد كان يشفى الأكمه والأبرص ويحيى الموتى . فآمن به كثيرون من الناس وتأكدوا أنه يصنع هذه المعجزات بقوة من الله ، لا باستخدام الحيل والرقى والعزائم التى يستخدمها الفريسيون .

---

(١) تاريخ السنهدرين ١٠ : ٤ أنظر C . K . Barrett وأنظر ص ١٦٨ تفسير يوحنا الانبا أثناسيوس .

من أجل ذلك ضاق به الفريسيون ذرعا وقالوا له : إننا نستخدم اسم الله الأعظم فى سحرنا أما أنت فتستخدم « بعلزبول » رئيس الشياطين . أى أننا وأنت واحد فى عمل السحر غاية مافى الأمر . أنك تستخدم رئيس الشياطين . وأما نحن فنقسم ونعزّم باسم الله الأعظم. وكيف تقسمون وتعزمون باسم الله الأعظم وقد نهاكم الله عن ذلك وبين أنه « مكروه عند الرب » ؟ إذا كان هو قد نهاكم فكيف يستجيب لكم ؟

فى إنجيل متى ما نصه : « حينئذ أحضر إليه مجنون أعمى وأخرس فشفاه ، حتى إن الأعمى الأخرس تكلم وأبصر ، فبهت كل الجموع . وقالوا : ألعل هذا هو ابن داود ؟ .

أما الفرّيسيُّون فلما سمعوا قالوا هذا لا يخرج الشياطين إلا بيعلزبول رئيس الشياطين فعلم يسوع أفكارهم . وقال لهم : كل مملكة منقسمة على ذاتها تُخرب . وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت . فإن كان الشيطان يخرج الشيطان فقد انقسم على ذاته . فكيف تثبت مملكته ؟ وإن كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين فأبناؤكم بمن يخرجون ؟ لذلك هم يكونون قضاتكم . ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله » [ متى ١٢ : ٢٢ — ٢٨ ] .

يريد عيسى أن يقول : إن مملكة الشياطين متحالفة على اضلال الناس . فكيف يسمح شيطان لنفسه أن يريح إنسانا ؟ إنه إذا أراح إنسانا فقد بطل عمل الشياطين . وفى الوقت نفسه شيطان أراح وشيطان

لم يرح . اذاً تنقسم مملكة الشياطين بين من يعمل للخير ، ومن يعمل الشر . ومن ينحاز منهم للخيرين ، ومن ينحاز للأشرار . وإذا انقسموا على انفسهم بطل عملهم . وإذا ثبت ذلك فإنى أخرج الشياطين باسم الله وحده ، وبإذنه . يقول متى هنرى فى تفسيره لعبارات متى « كان بين اليهود من يخرجون الشياطين أحيانا باستخدام اسم الله العلى . أو اسم الله إله إبراهيم وإسحق ويعقوب . يحدثنا يوسيفوس عن بعض الذين فعلوا هذا فى عصره . هؤلاء لم يدنهم الفريسيون ، بل نسبوا ما فعلوه لروح الله وبجدوا أنفسهم وأمتهم به لأنهم فعلوا هذا . لذلك كان روح الحقد والحسد هو الباعث على اعترافهم بأن الآخرين أخرجوا الشياطين بروح الله . وأن المسيح فعل ذلك بمحالفة مع بعلزبول(١) » .

والشاهد فى النص ١ — ألعل هذا هو ابن داود ؟ وقد سبق الحديث فى النبى المنتظر من نسل داود ٢ — قد أقبل عليكم ملكوت الله . وهنا نوضح ما المراد بملكوت الله ؟ وقبلما نوضح نشير إلى الآتى :

(أ) قد حرمت التوراة السحر . واليهود لم يحترموا كلام الله واستعملوا السحر . وإذا كانوا لم يحترموا كلام الله فى تحريم السحر ، وهو منصوص عليه بوضوح فإنه غير بعيد عليهم أن يكون الإيمان بنبى

---

(١) ص ٢٧٠ — ٢٧١ ج ٢ تفسير انجيل متى — متى هنرى ترجمة مرقس داود مكتبة المحبة بمصر .

الإسلام فرضا عليهم فى التوراة فأهملوا هذه الغرض .

(ب) آية هاروت وماروت جاءت مقررة لهذه الحقيقة . وهو أنه نبي الإسلام مكتوب عندهم وقد تركوا المكتوب الإلهى واتبعوا الباطل. وعدم اعترافهم به ليس دليلا على أنه غير مكتوب . كما أن اعترافهم بالسحر ليس دليلا على أنه مباح وقد جاء بعدها « ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون » .

(ت) فان استبعدوا نسخ كتاب موسى بالقرآن فإنه لا محل لاستبعادهم « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها[1] » أى بعد وغرابة فى نسخ القرآن للتوراة مادام الناس ملزمين بالخضوع للاله الواحد . والبركة بالتساوى بين إسماعيل وإسحق عليهما السلام ؟

(ث) فأنت ترى أن قصة هاروت وماروت جاءت بعد « ولما جاءهم رسول من عند الله » وجاء بعدها « ولو أنهم آمنوا — ما ننسخ ... الخ» ليظهر منها انحراف اليهود عن تعاليم الله سواء ما كان من هذه التعاليم واضحا للخاصة والعامة أو للعامة فقط . وقد سبق أن بينا نصا من كتاب موسى يتحدث عن أوصاف تسعة لنبي الإسلام هى : ١ — نبى

---

(١) تهدف الآية الكريمة ( البقرة ١٠٦ ) الى أن شريعة التوراة قد نسخت بالقرآن الكريم . والنسخ كما هو معروف فى الأحكام العملية . الأوامر والنواهى ونسخ القرآن للتوراة الغرض منه التخفيف على الناس .

٢ – من بنى إسماعيل ٣ – مثل موسى ٤ – ينسخ شريعة موسى ٥ – أمى وأجعل كلامى فى فمه ٦ – أمين على الوحى ٧ – سيقضى على بنى إسرائيل إذا لم يؤمنوا برسالته ٨ – لا يقتل ٩ – يتحدث عن غيب فيكون . وهنا نبين أن حديث عيسى مع الفريسيين فى شأن السحر أردفه بقوله « قد أقبل عليكم ملكوت الله » وهو نفس الحديث الذى جاءت آيات القرآن هذه مقررة له وهو أن النبى حق وقد بشر به عيسى وأخبر به موسى . فهل كان الرسول ﷺ على علم بهذا كله من قبل أن يعلمه الله ؟ وأى عبرة وموعظة تكون من قصة هاروت وماروت إذا لم نكن دراسين للنصوص دراسة جيدة دراسة تربطها بما قبلها وبما بعدها . وبما أشارت إليه النصوص من كتب أهل الكتاب ؟ صحيح إن الدراسة متعبة وشاقة . ولكن ما هى مهمة العلماء الذين يريد لهم صاحب الفن أن لايتعبوا إذا ما اكتفوا ببيان العبرة والموعظة ؟ إن العلماء الغيورين على الدين لا يكفيهم شىء قدر ما يكفيهم إتقان عملهم وأداء رسالتهم . وإن تعبوا وأوذوا . فأى امرىء لم يتعب ولم يؤذ ؟ ملكوت الله ويسمى ملكوت السموات هو ملكوت نبى الإسلام ﷺ والملكوت فى مفهوم أهل الكتاب يشمل ١ – الملك ٢ – والشريعة . وقد كان الملك وكانت الشريعة فى بنى إسرائيل إلى أن جاء نبى الإسلام فتسلم الملك منهم والشريعة .

كما تنبأ بذلك إسرائيل عليه السلام نحو سنة ١٨٣٧ ق. م. فقد قال

لبنيه فى شخص يهوذا ابنه « لا يزول قضيب من يهوذا ، ومشترع من بين رجليه . حتى يأتى شيلون . وله يكون خضوع شعوب » [ التكوين ٤٩ : ١٠ ] أى يظل الملك فى نسل يهوذا والتوراة يعمل بها الناس فى ظل الملوك من آل يهوذا حتى يأتى نبى الأمان الذى تنتظـــره الامم والشعوب تخضع لشريعته ومعلوم من سياق النبوءة أن ما بعد «حتى» يكون من جنس مغاير للجنس الاول .

وأصل كلمة الملكوت من سفر دانيال . فقد تنبأ عن أربع ممالك تقوم على الأرض . ويتأسس ملكوت السموات عقب زوال المملكة الرابعة يقول دانيال « ١ فى السنـــة الأولى لبيلشاصر ملك بابل رأى دانيال حلماً ، ورؤى رأسه على فراشه . حينئذ كتب الحلم وأخبر برأس الكلام ٢ أجاب دانيال وقال : كنت أرى فى رؤياى ليـلا . وإذا بأربع رياح السماء هجمت على البحر الكبير ٣ وصعد من البحر أربعة حيوانات عظيمة هذا مخالف ذاك ٤ الأول كالأسد ٥ وإذا بحيوان آخر ثان شبيه بالدب ٦ وبعد هذا كنت أرى وإذا بآخر مثل النمر ٧ بعد هذا كنت أرى فى رؤى الليل وإذا بحيوان رابع ١٣ كنت أرى فى رؤى الليل . وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الايام فقربوه قدامه ١٤ فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والامم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى مالن يزول ، وملكوته ما لا ينقرض ١٥ أما أنا دانيال فخزنت روحى فى وسط

جسمى وأفزعتنى رؤى رأسى ١٦ فاقتربت إلى واحد من الوقوف وطلبت منه الحقيقة فى كل هذا . فأخبرنى وعرفنى تفسير الأمور ١٧ هؤلاء الحيوانات العظيمة التى هى أربعة . هى أربعه ملوك يقومون على الأرض ١٨ أما قديسو العلى . فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين » [ دانيال ٧ ] واتفاق أهل الكتاب على أن الرابعة هى دولة الروم . وقد احتلت الروم أرض فلسطين ٦٣ قبل الميلاد . ولما ظهر يحيى وعيسى عليهما السلام أثناء احتلال الروم لفلسطين ناديا معا باقتراب ملكوت السموات يقول متى « وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلا : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » [ متى ٣ : ١ ] « من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » [ متى ٤ : ١٧ ] ملكوت السموات هــذا هو الذى يقول عنه دانيال فى النص السابق « كنت أرى فى رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه . فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة ، سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض » [ ٧ : ١٣ — ١٤ ] والمراد من قوله « لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة » أى تخضع لشريعته وتعمل بها كما جاء فى التوراة « لا تخافوا من عبيد الكلدانيين . اسكنوا الأرض وتعبدوا لملك بابل فيكون لكم خير » [ الملوك الثانى ٢٠ : ٢٤ ] .

وقد ضرب عيسى عليه السلام مثلا للأمة الإسلامية وصدره بقوله

« بماذا نشبه ملكوت الله ؟ أو بأى مثل نمثله ؟ مثل حبة خردل متى زرعت فى الارض فهى أصغر جميع البزور التى على الارض . ولكن متى زرعت تطلع وتصير أكبر جميع البقول . وتصنع أغصانا كبيرة حتى تستطيع طيور السماء أن تتآوى تحت ظلها » [ مرقس٤: ٣٠ - ٣٢] وهذا هو المثل الذى تشير إليه الكلمات من الآية الكريمة « ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطئه . فآزره . فاستغلظ فاستوى على سوقه » [ الفتح ٢١ ] .

فأنت ترى بوضوح الآن أن قول عيسى عليه السلام للفريسيين عقب مناقشته لهم فى السحر « قد اقبل عليكم ملكوت الله » يدل على مجىء نبى الاسلام ﷺ وقول الله تعالى فى القرآن « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم ... ألخ » يدل على أن نبى الإسلام له ذكر عند أهل الكتاب كما هو واضح من النصوص التى ذكرناها . وقول الله تعالى « نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون. واتبعوا ماتتلو الشياطين. ألخ » يدل على مجادلة عيسى للفرلسيين فى شأن السحر . وأنهم يستعملونه دون سند من الوحى كما أنهم أنكروا نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم وليس عندهم سند لهذا الإنكار .

وكنا قد أشرنا بقوله تعالى « ألم غلبت الروم فى أدنى الأرض.. ألخ» إلى زمن المعركة . وأرض المعركة . والفريقين المتصارعين . . ألخ . ولشير هنا بصدد « ملكوت الله » إلى أن هذا القول الإلهى له مغزى عميق لا يعرفه غير الدارسين للنبوءات فى التوراة والإنجيل.

ه لقد علمت من كلام عيسى المسيح أنه قال للفريسيين : قد أقبل عليكم ملكوت الله  أى أن الملكوت آت من بعده .فأيهما صاحب الملكوت محمد صلى الله عليه وسلم . أم عيسى عليه السلام ؟ أما الإنجيل فصرح بدعوة عيسى المسيح إلى اقتراب ملكوت السموات.وعلى مافى الإنجيل فليس عيسى صاحب الملكوت . وأما القرآن فصرح بأنه بعد غلبة الروم الفرس « يفرح المؤمنون بنصر الله » أى يسيطر المسلمون على أرض المملكتين فارس والروم . وعلى مافى القرآن فمحمد صلى الله عليه وسلم صاحب الملكوت . فانظر كيف تطابق القرآن مع النبوءات وقد كان النبى أميا غير دارس ؟

٣ — و « الم » أيضاً لايعرف مدلولها غير الدارسين للنبوءات. وقد حار العلماء فى بيان المعنى لألف. لام . ميم . ونظيرها مثل «طس» و « المر » لعدم معرفتهم بمدلول النبوءات فى التوراة ، والانجيل . وإليك البيان بإيجاز : ـ

١ — طلب الله تعالى من إبراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه فامتثل للأمر . ولما علم الله صحة قصده نسخ الأمر بالذبح قبل العمل بالأمر . ثم وعده بمباركة الأمم فى نسله . أى يكون من أولاده أمم وملوك على الشعوب يحكمون بشريعة الله . ووعده بمباركة الأمم فى نسل إسحق أولا ـ كما تنص التوراة ـ فقال إبراهيم لله ،ليت إسماعيل يعيش أمامك،أى يكون منه أمم وملوك على الشعوب يحكمون بشريعة الله كما يكون من إسحق

«فقال الله : وأما إسماعيل . فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه .وأثمره وأكثره . كثيراً جداً » [ تكوين ١٧ ] والربانيون والأحبار الذين أسلموا قالوا : لقد تحققت البركة فى شخص محمد صلى الله عليه وسلم . أعطاه الله شريعة كما أعطى موسى من بنى إسحق . وكما كان من نسل إسحق أمم وملوك . كذلك من نسل إسماعيل أمم وملوك . وكما كانت التوراة شريعة فى نسل إسحق . القرآن شريعة فى نسل إسماعيل. ثم قالوا إن الله تعالى رمز بالجملة العبرانية « بمادماد » التى تترجم فى اللغة العربية «كثيرا جداً »إلى اسم « محمد»صلى الله عليه وسلم بحساب الجمّل.

يقول شموئيل بن يهوذا بن أيوب « فهذه الكلمة « بماد ماد » إذا عددنا حساب حروفها بالجمل وجدناه اثنين وتسعين . وذلك عدد حساب حروف « محمد » ﷺ فإنه أيضاً اثنان وتسعون(١) »

ب ـ وحساب الجمل ـ بضم الجيم وتشديد الميم مفتوحة ـ له أهمية قصوى لدى أهل الكتاب من اليهود والنصارى ويدلك على أهميته : أن اليهود فى بابل لما اشتد العداء بينهم . قام السامريون منهم بخلف طريقة الحساب حتى لا يكشف العبرانيون أسرارهم . والحساب عندهم هكذا : ـ

| | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| أ | ب | ج | د / | هـ | و | ز / | ح | ط | ى / |
| ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ٦ | ٧ | ٨ | ٩ | ١٠٠ |

(١) ص ٣٤ بذل المجهود فى افحام اليهود

| | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ك | ل | م | ن / س | ع | ف | ص / | ق | ر | |
| ٢٠٠ | ٣٠٠ | ٤٠٠ | ٥٠ ٧٠ | ٣٠ | ٤٠ | ٩٠٠ | ٥٠٠ | ٦٠٠ | |

| | |
|---|---|
| ش | ت |
| ٨٠٠ | ٧٠٠ |

يقول مؤرخ يهودى سامرى « قام سنبلط الليوانى ، وحزقيه الإمام ورتبوا حروف أ . ب . ج . على غير ترتيبها . . . وإذا اعتبرت الحرف وماجعل عوضه فى الجلة تجده من الألف إلى الطاء عشرة عشرة خلا الهاء مع النون خمسة وخمسين . ومن الياء إلى الصاد مائة مائة خلا النون مع الهاء خمسة وخمسين . ومن القاف إلى التاء خمسمائة خمس مائة . وكتب سـنبلط وجماعته كتابا إلى أبو شروان الملك بهذا الترتيب (١) ، والحساب عند العبرانيين هكذا : ـ

١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ٢٠ - ٣٠ - ٤٠
- ٥٠ - ٦٠ - ٧٠ - ٨٠ - ٩٠ - ١٠٠ - ٢٠٠ - ٣٠٠ - ٤٠٠

والنصارى مثل اليهود يعترفون بحساب الجمل ـ على طريقة العبرانيين ويعتبرونه مقدسا جاء فى الإنجيل مانصه « من له فهم فليحسب عدد الوحش . فإنه عدد إنسان . وعدده ستمئة ستة وستون » [ رؤية ٣ : ٨ ] يقول الدكتور وليم أدى الأميركانى : « ست مائة وستة . وستون : فى الأصل اليونانى ثلاثة أحرف معناها ست مائة وسته وستون . وليست هذه الأحرف كلمة تفيد معنى . بل كل منها يشير إلى عدد .

(١) ص ٧٣ التاريخ مما تقدم عن الآباء

فالحرف الأول من اليسار إلى اليمين يشير إلى العدد ستمائة . والحرف الثانى إلى ستين . والحرف الثالث إلى ستة . والثلاثة معاً تشير إلى ٦٦٦ ولا يخفى أن الارقام الهندية المستعملة اليوم فى الحساب . هى من القرن الرابع عشر . وكان القدماء يكتبون الأعداد بألفاظ . أو يعبرون عنها بالأحرف الهجائية » .

لقد اعترف بصحة الحساب أولا . ثم بين أن طريقة العالم فى الأزمان السالفة فى الحساب ١ — إما بكتابة الأعداد بألفاظ فرقم ٦ مثلا يكتب ستة ٢ — وإما بالتعبير عنها بالإحرف الهجائية. فرقم ٦ مثلا يكتب و وهذا يعنى أن حساب الجمل كان من الاهمية بمكان قبل الإسلام .

ت — والمسيح عيسى عليه السلام نطق بأسم نبى الإسلام ١ - محمد حسب رمز التوراة ( كتاب موسى ) « بماد ماد » لانه كان يفسر لاتباعه الغامض من آيات التوراة يقول فى إنجيل برنابا « وسيبق هذا إلى أن يأتى محمد رسول الله » [ برنابا ٢٢٠ : ١٢ - ٢١ ] ٣ — أحمد حسب رمز التوراة ( كتاب ملاخى ) لانه قال على لسان الله تعالى « ها أنذا أرسل إليكم إيلياء النبى قبل مجىء يوم الرب » [ ملاخى ٤ : ٥ ] أ = ١ ى = ١٠ ل = ٣٠ ى = ١٠ أ = ١ د = ١ المجموع = ٥٣ مثل مجموع كلمة أحمدية ولفى إنجيل يوحنا « وأما المعزى الروح القدس(١) .. الخ

(١) المعزى كتبت بدل « باركليت » وباركليت كتبت بدل « بيركليت » =

[ يوحنا ١٤ : ٢٦ ] وهذا هو الظاهر من النصوص . ولكننا نرى رأياً آخر وهو أن المسيح نطق باسم « أحمد » - بيريكليت - وبعد رفعه إلى السماء اشتد اضطهاد اليهود على النصارى . ثم تصالحوا فى مجمع يمنيه سنة ٩٠ ميلادية وسلم اليهود إلى النصارى أسفار الأنبياء فى ذلك المجمع فغير بعيد أن يشير اليهود فى سفر ملاخى إلى اسم أحمد بحساب الجمل فى كلمة « إيلياء » ليعرفوه هم وحدهم إذا جاء . ويسهل عليهم إنكاره إذا أرادوا .

ث - وفى كتب تفسير القرآن الكبيرة ما يؤيد قولنا ويؤكده . فى تفسير الإمام ابن كثير « مر أبو ياسر بن أخطب فى رجال من اليهود برسول الله ﷺ ، وهو يتلو فاتحة سورة البقرة « ألم . ذلك الكتاب لاريب فيه » فأتى أخاه حيى بن أخطب فى رجال من اليهود ، فقال تعلمون والله لقد سمعت محمداً يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه « ألم ذلك الكتاب لاريب فيه »

---

= « بيركليت » أحمد ومن كلامه عن نبى الإسلام « قد كلمتكم بهذا لكى لا تعثروا . سيخرجونكم من المجامع . بل تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله . وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفونى لكنى قد كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أنى أنا قلته لكم . ولم أقل لكم من البداية لأنى كنت معكم . وأما الآن فأنا ماض إلى الذى أرسلنى . وليس أحد منكم يسألنى : أين تمضى ؟ لكن لأنى قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم . لكنى أقول لكم الحق : إنه خير لكم أن انطلق لأنه إن لم انطلق لا يأتيكم المعزى » ( يوحنا ١٦ : ١ - ٧ ) .

فقال . أنت سمعته ؟ قال : نعم . قال : فمشى حيي بن أخطب فى أولئك النفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ . فقالوا يا محمد : ألم يذكر أنك تتلو فيما أنزل الله عليك « ألم ذلك الكتاب » ؟ فقال رسول الله ﷺ : بلى . فقالوا : جاءك بهذا جبريل من عند الله ؟ فقال نعم قالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء . ما نعلمه بين لنبي منهم : مامدة ملكه ؟ وما أجل أمته غيرك ؟ فقام حيي بن أخطب . وأقبل على من كان معه . فقال لهم : الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة . . . الخ الحديث . ومنه يفهم أن الرمز بألم وسائر الحروف المقطعة فى القرآن : إلى مدة ملك النبي ﷺ وأجل أمته . وأن الملك والأجل إلى نهاية الزمان .

ولعله قد وضح الآن : دليل آخر على صدق نبي الإسلام ﷺ من الحروف المقطعة فى اوائل سور القرآن ودليل الإعجاز فيها وهو : كيف عرف النبي الذى ما كان يكتب ولا يقرأ ولا يحسب سر هذه الحروف التى يتخاطب بها أهل الكتاب فيما بينهم ورمزوا بها إلى أسمه المبارك ؟ لابد من وحى نزل عليه .

٤ — وأى عبرة وموعظة فى قول الله تعالى فى قصة نوح عليه السلام « قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين ، وأهلك إلا من سبق عليه القول . ومن آمن . وما آمن معه إلا قليل » [ هود ٤٠ ] ؟ هذا خبر فالعبرة والموعظة فيه ؟ إن هذا القول له مغزى عميق . يعرفه أهل الكتاب حق المعرفة .

( ا ) فمن كل زوجين اثنين تشير إلى تأكيد نص من نصين متعارضين فى التوراة نص يقول « من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى . ومن البهائم التى ليست بطاهرة اثنين ذكراً وانثى . ومن طيور السماء أيضاً سبعة سبعة ذكراً وانثى لاستبقاء نسل على وجه كل الأرض » [ تكوين ٧ : ٢ — ٣ ] ونص يقول « ومن كل حى من كل ذى جسد اثنين من كل تدخل إلى الفلك لاستبقائها معك . تكون ذكراً وانثى . من الطيور كأجناسها ومن البهائم كأجناسها ومن كل دبابات الأرض كأجناسها . اثنين من كل تدخل إليك لاستبقائها » [ تكوين ٦ : ١٩ — ٢٠ ] أى النصين نصدق ؟ سبعة سبعة أم اثنين اثنين ؟ لا يمكن نص السبعة أن يكون صحيحا لأن استبقاء النسل يتحقق من ذكر وانثى . ولأن الأعداد الكثيرة لا يمكن أبدا أن يسعها الفلك مع أقواتها .

(ب) ومن آمن يشير إلى تكذيب التوراة العبرانية وقوله : وما آمن معه إلا قليل تشهد بصحته العبرية والإنجيل على اختلاف .

يقول الكاتب : إن طوفان نوح عليه السلام قد عم الكرة الأرضية كلها « كل ما فى أنفه نسمة روح حياة . من كل ما فى اليابسة مات . فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض . الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء فانمحت من الأرض . وتبقى نوح والذين معه فى الفلك فقط » [ تكوين ٧ : ٢٢ — ٢٣ ] يقصد بالذين معه ابناؤه بدليل « أخرج

حن الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك » [ تكوين ٨ : ١٦ ] — وبدليل « تدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك . ومن كل حى من كل ذى جسد اثنين من كل تدخل إلى الفلك لاستبقائهما معك . تكون ذكراً وأنثى » [ تكوين ٦ : ١٨ — ١٩ ] وفى سفر التكوين أن لامك ظل نسله قائماً لم ينقطع . ولامك لم يكن ممن دخل الفلك لأنه ليس من أولاد نوح . إنه : ابن متوشالح بن محويائيل بن عيراد بن حنوك بن قايين بن آدم [ التكوين ٤ : ١٩ - ٢٢ ]. وهذا يدل على أنه قد دخل الفلك من آمن من الناس من غير نوح وأهله كما جاء فى القرآن الكريم « ومن آمن » وألا يكن ذلك صحيحاً فكيف بقى نسل لامك وهو لم يكن من أولاد نوح ؟ وفضلا عن ذلك فإن الكاتب يذكر أن عدد الداخلين ستة أشخاص . ويخالفه بطرس فى الإنجيل ويذكر أنهم ثمانية يقول عن الله تعالى « ولم يشفق على العالم القديم . بل إنما حفظ نوحا ثامنا كارزا — مبشرا — للبر . إذ جلب طوفانا على عالم الفجار » [ بطرس الثانية ٢ : ٥ ] .

● — وأى عبرة وموعظة فى إفساد بنى إسرائيل فى أرض فلسطين مرتين ؟ ولماذا ذكر الله خبر المرتين فى القرآن ؟ ولماذا مع ذكره الخبر فى القرآن يقول إن ذلك الخبر فى التوراة أيضاً(١) ؟ ولماذا وضح أن الفساد

---

(١) فى سورة الاسراء « وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا =

مقترن بعلو . وأن العلو لا يكون عاديا بل علوا كبيرا . إنه إذا كان الفساد فى المرتين قد تم قبل الإسلام . فأى عبرة وموعظة وفسادهم منصوص عليه فى القرآن كثيراً ؟ إنه على ذلك يلزم مع القول بالعبرة والموعظة أقوال آخر منها : أن النبي الأمى نبى صادق كيف وقد كان أميا أن يعرف المرتين بوضوح من سفر دانيال ؟ وسفر دانيال من الأسفار العجيبة الشأن ذلك لأن أكثره رؤى رمزية وإشارات يحار الناس فى فهمها . فاخبار النبي بحادثتين من حوادثه بوضوح يدل على أن الله هو الذى أوحى إليه ووضح له . ومن علامات النبى المنتظر فى التوراة والإنجيل أن يخبر بأمور آتية فى المستقبل . وإخبار النبي بفساد بنى إسرائيل مرتين فى المستقبل وتحقق كلامه يدل على أنه هو المنبىء عنه فى التوراه والإنجيل(٢) .

---

= لناأولى بأس حديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنالكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها . فاذا جاء وعد الاخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم » (٤–٨) إذا حدثت المرة الأولى يبعث الله على اليهود عبادا له — وهم المسلمون — يجوسون خلال الديار أى يهلكون اليهود رويدا رويدا ويحتلون الأرض التى اغتصبوها وعلوا فيها وأفسدوا جزءا جزءا . ثم بعد مدة من الزمان يعطى الله اليهود أموالا وبنين . ثم يقول الله للمسلمين . إذا جاءت المرة الثانية ليهزمكم اليهود ويسيطروا على أرض المسجد الأقصى مدينة القدس كما سيطروا عليها أول مرة عسى ربكم أن يرحمكم .

(١) فى التوراة « وإن قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم =

ومن غريب الأمر أن كثيرا من أهل الكتاب يعرفون ذلك حق المعرفة كما يعرفون أبناءهم . ولكنهم ضللوا المسلمين وأشاعوا أن المرتين قد كانا قبل الإسلام . حتى لا يتنبه المسلمون فيأخذون حذرهم ولعل ذلك لحكمة إلهية حتى تكون كل مرة « وعدا مفعولا » وشاع ذلك القول بين مفسرى القرآن الكريم نقلا عن أهل الكتاب . ولم يلتفت واحدا منهم إلى أن يفسر القرآن بالقرآن . دون ماقدامة لمفسر أيا كانت منزلته . صحيح نجد للمفسرين مكانة طيبة فى قلوبنا . ولكنهم قبل كل اعتبار بشر يجوز عليهم الخطأ والصواب .

وإنى لأذكر لك نصا يبين لك إهتمام أهل الكتاب ببيان المرتين . جاء فى كتاب « إظهار الحق » للشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى المطبوع فى مصر سنة ١٣١٧ هجرية — ١٨٩٧ ميلادية أن العلماء مضطربون فى شرح هذا النص من كلام دانيال « وسمعت قديساً من القديسين متكلما وقال قديس واحد للآخر المتكلم لم أعرفه : حتى متى الرؤيا والذبيحة الدائمة وخطية الخراب الذى قد صار ويداس القدس والقوة. فقال له : حتى المساء والصباح أياما ألفين وثلثمائة يوم ويظهر القدس »

---

= به الرب ؟ فما تكلم به النبى باسم الرب .ولم يحدث ولم يصر . فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب . بل بطغيان تكلم به النبى فلا تخف منه » ( تثنية ١٨ : ٢١ — ٢٢ ) وفى الانجيل « واما متى جاء ذاك روح الحق — المعزى — فهو يرشدكم الى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه . بل كل ما يسمع يتكلم به . ويخبركم بأمور آتية » ( يوحنا ١٦ : ١٣ )

[ دانيال ٨ : ١٣ — ١٤ ] هذا هو النص على الإفادة الأولى . وقد تمت فى سنة ١٣٨٧ هجرية ١٩٦٧ ميلادية — فى الخامس من يونيو .
وأما النص على الإفادة الثانية فهو هكذا « ومن الزمان الذى فيه انتزع القربان الدائم ، ووضع الرجسة للخراب : ألف ومائتان وتسعون يوماً . وطوبى لمن ينتظر ويبلغ إلى ألف وثلثمائة وخمسة وثلاثين يوماً » [ دانيال ١٢ : ١١ - ١٢ ترجمة عربية سنة ١٨٤٤ م ] وعلى ذلك تكون سنة ٢٢٥٧ ميلادية .

ولأن علماء أهل الكتاب مضطربون عد الشيخ رحمة الله النصين من أغلاط التوراة . وليس بلازم أن يكون النصان من أغلاط التوراة لاضطرابهم فى التفسير . لأن اضطرابهم نتيجة للبس اليهود الحق بالباطل وقت كتابتهم لسفر دانيال . ومن لبسهم الحق بالباطل لم يضعوا كلمة « اليوم » فى النص الأول صراحة وإنما وضعوا كلمة تترجم باليوم وتترجم بالسنة يحرفون الكلمة من بعد مواضعه . فى الترجمة التى نقل عنها الشيخ وضعوا كلمة يوم وفى ترجمة البروتستانت سنة ١٩٧٠ وضعوا لفظ « صباح ومساء » . وفى النص الثانى وضعوا كلمة اليوم صراحة . ثم إنهم قالوا إن اليوم يراد به السنة . فى بعض الأحيان كما يراد اليوم المعروف فى بعض الأحيان . فالإضطراب فى التفسير نتيجة استعمالهم اليوم بالسنة والسنة باليوم . يقول لابان ليعقوب عليه السلام « أكمل أسبوع هذه فنعطيك تلك أيضا بالخدمة التى تخدمنى أيضا سبع سنين آخر . ففعل يعقوب هكذا فأكمل أسبوع هذه . فأعطاه راحيل ابنته زوجة له » [ تكوين ٢٩ : ٢٧ - ٢٨ ] إنه جعل الأسبوع سبع سنين

والذى يدلك على أن كلمة « اليوم » تترجم بالسنة فى النص الأول أنها ترجمت « صباح ومساء » فى بعض التراجم وأن كثيرا من المفسرين فسروها بالسنة . ولأنها لو كانت باليوم المعروف تفسر ابطلت الحوادث بموت دانيال نفسه لأن ٢٣٠٠ = ست سنوات وبعض أيام كيف وأن دانيال نفسه يوضح أن الحوادث تأتى بعد إنتهاء مملكة اليونان . وبعد أربع ممالك من الأمة . وقد كان دانيال فى السبي البابلى . كيف وقد قال « إن الرؤيا لوقت المنتهى » وأن جبريل عليه السلام وضح له أيضا « فرؤيا المساء والصباح التى قيلت هى حق . أما أنت فاكتم الرؤيا لأنها إلى أيام كثيرة » [ دانيال ٨ : ١٧ و ٢٦ ] وأن دانيال سأل « إلى متى انتهاء العجائب » ؟ وقد أجابه الملاك بقوله وقد « رفع يمناه ويسراه نحو السموات وحلف بالحى إلى الأبد : إنه إلى زمان وزمانين ونصف فإذا تم تفريق أيدى الشعب المقدس تتم كل هذه » قال دانيال « وأنا سمعت وما فهمت فقلت يا سيدى : ما هى آخر هذه ؟ فقال : اذهب يا دانيال لأن الكلمات مخفية ومختومة إلى وقت النهاية » [ دانيال ١٢ : ٧ - ٩ ] ؟ لابد على أقل تقدير أن تتم هذه الحوادث بعد «تفريق أيدى الشعب المقدس » وهو لم يفرق إلا بعد استيلاء المسلمين على بلاد الشام . وأصبحت أورشليم التى كانت عاصمة الدولة اليهودية العبرانية عاصمة من عواصم الدولة الإسلامية .

والتفسير الصحيح أن الإسكندر الأكبر المقدونى ملك اليونان قد احتل بلاد الشام سنة ٣٢٣ قبل الميلاد . لوطرحنا ٣٢٣ من ٢٣٠٠ فإن

الحادثة الاولى تتم سنة ١٩٦٧ من الميلاد . والذين ذهبوا مذهبنا من المفسرين اعتمدوا على بعض ما أبديناه وعلى أن الاصحاح الثامن كله يتحدث عن ملك اليونان وقد أتى بعد مَتّن . ومن يأتى بعده .

وأنقل لك هنا ماكتبه الشيخ رحمة الله . يرحمه الله وأكتفى به . وأحيلك إلى كتب تفسير التوراة فسوف تجد العجب العجاب . يقول الشيخ رحمة الله ما نصه عقب النص الأول من كلام دانيال مانصه : ـ « وعلماء أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين كافة مضطربون فى بيان مصداق هذا الخبر . فاختار جمهور مفسرى البَيْبل(١) من الفريقين أن مصداقه حادثة انتيوكس ملك ملوك الروم ـ الاصح اليونان لأن الرومان احتلوا أورشليم سنة ٦٣ ق . م ـ الذى تسلط على أورشليم قبل ميلاد المسيح بمائة وإحدى وستين سنة . والمراد بالأيام هذه الأيام المتعارفة واختاره يوسيفس أيضاً . لكنه يردعليه اعتراض قوى . هو أن حادثته التى يداس فيها القدس والعسكر كانت إلى ثلاثة سنين ونصف كما صرح به يوسيفس فى الباب التاسع من الكتاب الخامس من تاريخه وتكون مدة ست سنين وثلاثة أشهر وتسعة عشر يوما تخمينا بالسنة الشمسية بحساب الأيام المذكورة(٢) ولذلك قال أسحق نيوتن : إن مصداق هذه الحادثة ليس حادثة انتيوكس .

---

(١) البيبل : لفظ يونانى يعنى مجموع كتب التوراة والانجيل .

(٢) استخدم اليهود حساب سنتهم تبعا لدورة الشمس ، وشهورهم تبعا لدورة القمر مع ملاحظة تقدير أيام أعيادهم وصومهم بالحساب القمرى ، والمحافظة على

ولطامس نيوتن تفسير على أخبار بالحوادث الآتية المندرجة فى البيبل وطبع هذا التفسير سنة ١٨٠٣ فى بلدة لندن فنقل فى المجلـــد الأول من هذا التفسير أولا قول جمهور المفسرين ، ثم ردّ كاردّ اسحق نيوتن . ثم قال إن مصداق هذا الخبر ليس حادثـة أنتيوكس كما يعلم بالتأمل . ثم ظن أن مصداقه سلاطين الروم والباباؤن . [ الباباوات ]

وسنل جانسى كتب تفسيرا على الأخبار بالحوادث الآتية أيضاً ، وادعى أنه لخص هذا التفسير من خمسة وثمانين تفسيرا ، وطبع هذا التفسير سنة ١٨٣٨ من الميلاد فكتب فى شرح هذا الخبر هـكذا :

( تعيين زمان مبدأ هذا الخبر فى غاية الإشـكال عند العلمـاء من قديم الأيام ، ومختار الأكثر أن زمان مبدئه واحد من الأزمنة الأربعة التى صدرفيها أربعة فرامين سلاطين إيرانسنة ٦٣٦ قبل ميلاد المسيح التى صدر فيها فرمان فورشى . والثانى سنة ٥١٨ قبل الميلاد التى صدر فيها فرمان دارا ( داريوس ) والثالث سنة ٤٥٨ قبل الميلاد التى حصل فيها فرمان . أرد شير لعزرا فى السنة السابعة من جلوسه . والرابعـة سنة ٤٤٤ قبل الميلاد التى حصل فيها لنحميا فرمان أردشير فى السنة العشرين من جلوسه والمراد بالأيام : السنون . ويـكون منتهى هذا الخبر باعتبار المبادىء المذكورة على هذا التفصيل :

---

= مكانها فى السنة وبذلك كبسوا ٧ شهور فى ١٩ سنة قمرية ( الآثار الباقية عن القرون الخالية البيرونى ) أنظر : ص ٢٦ رسالة اليولسكو العدد ١٥٧ يوليو ١٩٧٤ م المطبعة العربية

بالاعتبار الاول سنة ١٧٦٤ من الميلاد

بالاعتبار الثانى سنة ١٧٨٢

بالاعتبار الثالث سنة ١٨٤٣

بالاعتبار الرابع سنة ١٨٥٦

ومضت المدة الأولى . والثانية . وبقيت الثالثة والرابعة ، والثالثة أقوى ، وعندى هى بالجزم .

وعند البعض مبدؤه خروج اسكندر الرومى على ملك إيشيا ، وعلى هذا منتهى هذا الخبر سنة ١٩٦٦(١) انتهى بنصه .

فأنت ترى خمسة آراء فى كلام « سنل جالسى » الرأى الخامس الذى هو رأى البعض قد تحقق بعد موته .

وسنل جانسى قد قوى الرأى الثالث ولم يحدث بعد موته . والشيخ رحمة الله يقول ان الرأى الرابع لم يحدث فى زمنى . وكما لم يحدث واحد حتى الان . فان الرأى الخامس سيكون كاذبا أيضاً يقول الشيخ رحمة الله « ومن يكون فى ذلك الوقت يرى أنه كاذب أيضاً إن شاء الله » وأقول إنى كنت فى ذلك الوقت حيا أرزق . وكنت أؤدى الامتحان

---

(١) ص ٧٤ — ٧٦ الجزء الأول من اظهار الحق طبعة مصر ١٣١٧ هـ ولاحظ أن الرقم ١٩٦٦ من كتابة المؤلف نفسه .

لنيل درجة الليسانس من كلية اللغة العربية جامعة الأزهر وشاء الله أن أرى ذلك رأى العين وأنا فى السابعة والعشرين من العمر ، وقد بنى الشيخ رحمه الله رأيه أيضاً على تفسير الايام بالايام العادية ، إن قوله: المراد بالايام : السنون تحكم . لان المعنى الحقيقى لليوم ماهو المتعارف ، وحيثما استعمل اليوم فى العهدالعتيق والجديدفى بيان تعدادالمدة استعمل بمعناه الحقيقى . وما استعمل بمعنى السنة فى موضع من المواضع التى يكون المقصود فيها بيان تعداد المدة . ولو سلم استعماله فى غير هذه المواضع على سبيل الندرة بمعنى السنة أيضاً يكون على سبيل المجاز قطعا والحمل على المعنى المجازى بدون القرينة لا يجوز ، وههنا المقصود بيان تعداد المدة . ولا توجد القرينة أيضاً فكيف يحمل على المعنى المجازى؟» بأنه يوافق على المعنى المجازى مع القرينة ولو كان قد قرأ ذلك النص من حز قيال لما تحدث عن القرينة ، وأنا قد جعلت لك سنى اثمهم حسب عدد الأيام ثلاث مئة يوم وتسعين يوما . . كل يوم عوضا عن سنة » [ ٤ : ٥ — ٦ ] وقد ذكرنا قرائن كثيرة منها «زمان وزمانين ونصف زمان » لكل المدة فى الإفسادتين فهل يفسر هو الزمان باليوم وتكون المدة ثلاثة أيام ونصف ، أو المـــدة كلها ثلاث سنين ونصف سنة ؟ لو فسرت الزمان بالالف فان المدة ٢٥٠٠ سنة ، ولو جمعت ٢٣٠٠ + ١٢٩٠ = ٢٥٩٠ سنة فالمسافة متقاربة كما ترى . وقد سلم الشيخ رحمه الله أن اليوم يأتى بمعنى السنة على سبيل الندرة . فلم لا تكون الندرة هنا ؟ وقد بنى الشيخ رأيه أيضاً على أن الحساب يجب أن يبدأ من وقعتى

الرؤيا ، لا من الأوقات التى بعده ، وكلامه حق لو أن سفر دانيال من كتابة دانيال نفسه . إنه كتب بعد موته وإنى لأعجب كيف فاته هذا الأمر ، وهو نفسه كتب عن سفر دانيال هكذا، يوجد فى الترجمة اليونانية لتهيودشن والترجمة اللاطينية ، وجميع تراجم رومن كاتلك : غناء الأطفال الثلاثة فى الباب الثالث . كذا يوجد فى الباب الثالث عشر والرابع عشر وفرقة كاتلك تسلم الغناء المذكور والبابين المذكورين ، وتردها فرقة بروتستنت وتحكم بكذبها »(١) .

ويقول الفيلسوف اليهودى سبينوزا عن سفر دانيال « هذا السفر يحتوى بلا شك على نفس النص الذى كتبه دانيال ابتداء من الإصحاح ٨ أما الإصحاحات السبعة الأولى فلا أعلم مصدرها ولما كانت باستثناء الإصحاح الأول مكتوبة باللغة الكلدانية — الآرامية — فيمكننا أن نفترض أنها أخذت من كتب الأخبار الكلدانية(٢) » ثم يقول « لم تكن هناك مجموعة مقننة من الكتب المقدسة قبل عصر المكابيين . أما الكتب المقننة الموجودة الآن فقد أختارها فريسيو المعبد الثانى من بين كثير غيرها . وذلك بقرار منهم فحسب ، وهؤلاء هم أيضا واضعو صيغ الصلاة(٣) » .

---

(١) ص ٤١ ج ١ اظهار الحق .

(٢) ص ٣١٦ رسالة فى اللاهوت والسياسة .

(٣) ص ٣٢٥ المرجع السابق والعصر المكابى ١٦٧ ق . م ومن بناء سليمان إلى سبى بابل هذه الفترة تسمى فترة المعبد الأول ومن الرجوع الى هدم تيطوس تسمى فتره المعبد الثانى .

ويدلى سبينوزا بهذا الاعتراف الخطير « إن ما نسميه المجمع الكبير لم يوجد إلا بعد استيلاء المقدونيين على آسيا . ويسلم ابن ميمون والحبر إبراهيم بن داود وكثيرون غيرهم بأن عزرا ودانيال ونحميا وحاجى (حجى) وزكريا ... إلخ كانوا رؤساء هذه المجالس . وأما الخرافة فتدعو للسخرية ، ولا تقوم على أى أساس إلا على نقل الأحبار أن تظل إمبراطورية الفرس قائمة أربعة وثلاثين عاما لا أكثر وليس لديهم أية وسيلة أخرى للبرهنة على نقل قرارات هذا المجمع الكبير أو هذا المجمع الدينى المكون من الفريسيين فقط . عن لسان الأنبياء الذين نقلوه عن لسان أنبياء آخرين . حتى موسى الذى نقلها إليهم شفاها لا كتابة . ويحق للفريسيين الإصرار على هذا الاعتقاد كعادتهم أما المستنيرون الذين يعلمون أسباب تكوين هـــذه المجالس والمجامع ، وكذلك مناقشات الفريسيين والصدوقيين فإنهم يستطيعون بسهولة تخيل سبب إقامة هذا المجمع الكبير أى هذا المجلس الشىء اليقينى هو أن هذا المجلس لم يضم أنبياء بين أعضائه وأن قراراته التى تسمى المأثور ( التراث ) تستمد سلطتها من هذا المجلس نفسه(١) » .

ويقول عن النبوءات فى أسفار الأنبياء ما نصه « عندما أفحصها أجد أن النبوات التى جمعت فيها قد أخذت من كتب أخرى . ورتبت ترتيبا معينا . لم يكن دائما هو الترتيب الذى سار عليه الأنبياء فى أقوالهم أو فى كتاباتهم . كذلك فإن هذه الأسفار لا تتضمن جميع النبوات »

---

(١) هامش ص ٣٢٥ رسالة فى اللاهوت والسياسة .

بل بعض النبوات التى أمكن العثور عليها هنا وهناك ، وإذن فليست هذه الأسفار إلا مجرد شذرات من الأنبياء(١) » .

والقرآن الكريم يبين أن مع الافساد علو كبير أى أن الإفساد لا بد وأن يكون مقترنا بعلو ، لا علو فقط . ولم يتحقق لليهود علو فقط إلا زمن داود عليه السلام ١٠٥٦ ق . م ولم يتحقق لليهود علو من زمن داود إلا فى سنة ١٩٦٧ م والتاريخ يشهد بذلك ففيه : أن بنى إسرائيل احتلوا الأرض المقدسة أرض فلسطين فى زمن طالوت وداود وكانت المملكة من قرب غزة إلى لبنان ومن قرب البحر المتوسط إلى حدود سوريا . وفى سنة ٥٨٦ ق . م وقعوا جميعا تحت سلطان الولاء للملك بابل وهذا لا يسمى علوا . بل فسادا وعقابا على الفساد . ولما استولى الفرس ٦٣٦ ق . م على مملكة بابل وعلى الأرض المقدسة خضع اليهود للفرس ولما جاءهم الأسكندر الأكبر ملك اليونان ٣٣٣ ق . م سلموا له بدون قتال وخضعوا له . وظلوا خاشعين من الذل لليونان حتى ٦٣ ق . م سنة دخولهم فى حوزة الرومان وفى عهدهم ولد عيسى عليه السلام وبشرهم بالنبي المنتظر وأنهم إذا آمنوا به سوف يحيون حياة طيبة ولكنهم رفضوا قوله . ومن بعده هدم تيطوس الهيكل سنة ٧٠م

---

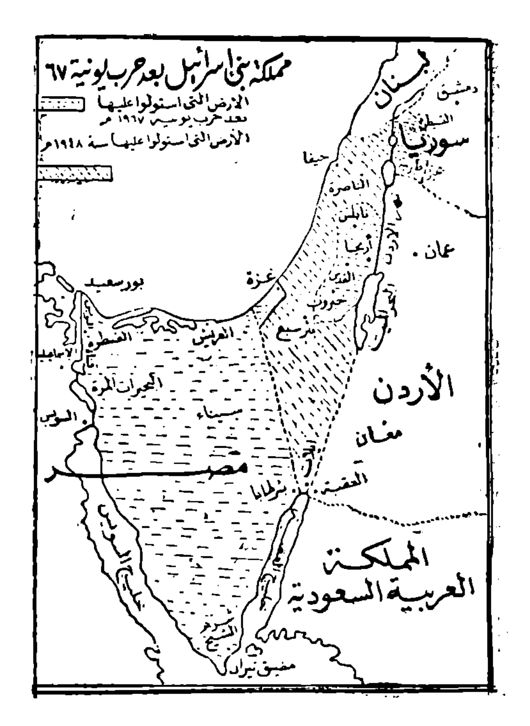
(١) المرجع السابق ص ٣١٠ ولاحظ أن المجمع الكبير عند اليهود أسمه « السنهدريم » مثل مجلس الشعب عندنا فى مصر والفريسيون طائفة من اليهود المرائين تدعى الغيرة على الشريعة اليهودية ويؤمنون ببعث الأموات . والصدوقيون طائفة أخرى تؤمن بفصل الدين عن السياسة وتنكر بعث الأموات .

وحرث أدريانوس أرض الهيكل ودمر المدينة تدميرا سنة ١٣٥ م وظلوا تحت الرومان إلى مجيء الإسلام فاستولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه على الأرض المقدسة وصارت السيادة لبنى إسماعيل وطردوا الرومان . ومن ظهور الإسلام إلى سنة ١٩٤٨ م لم يكن لليهود علو فى فلسطين أبدا . وقد تحقق العلو الكبير سنة ١٩٦٧ ، أستولوا على سيناء بالكامل وغزة والضفة الغربية للأردن ومرتفعات الجولان بسوريا أكثر مما كان لهم فى عهد داود عليه السلام .

والقرآن يبين أن المرة الأولى إذا تمت يجوس المسلمون عباده خلال الديار أى يترددوا فيها لهلاك اليهود وإجلائهم . وهذا ما حدث فإنه فى سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م استرد المسلمون جزءا من هذه الأرض . ثم سيتوالى النصر بأذن الله معركة بعد معركة حتى يتم النصر المؤزر « إن ينصركم الله فلا غالب لكم . وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم بعده » وبعد مئات من السنين[1] بعد النصر المؤزر يتجمع اليهود مرة ثانية ويفسدون فى الأرض ويدخلون أرض المسجد الأقصى كما دخلوه أول مرة فى سنة ٣٢٥٧ ميلادية وإذا كان الكاتب لدانيال متعمدا التعمية والالغاز فإنها تكون سنة ٣٢٠٢ ميلادية . وسوف يسترد المسلمون ما يأخذونه كما استردوا ما أخذوه فى المرة الأولى . إذا شاء الله .

---

(١) اقرأ عن الإفادة الثانية لبنى إسرائيل : الإصحاح الثانى عشر من سفر دانيال .




خريطة تبين العلو الكبير مع الفساد لبنى إسرائيل فى معركة ٢٦ من صفر ١٣٨٧ هـ الموافق ٥ من يونية ١٩٦٧ م — قارن بينها وبين مملكة بنى إسرائيل فى أقصى اتساعها زمن داود عليه السلام ١٠٥٦ ق.م لترى الفرق بين العلو فقط والعلو الكبير . وبين العلو فقط بصلاح والعلو الكبير مقترنا بفساد .




الفصل الخامس
ردّ اللغو

ونعود إلى صاحب الفن القصصي بعد ذلك الذى قدمناه . لنذكر من كلامه ما يعرف به قصده(١) . ونرد على حججه ردا مباشرا ، وبذلك نكون قد أضفنا حججه نفسها . وزدنا وجهة نظرنا تأكيداً ووضوحاً .

إنه يقول : إن القصة فى القرآن لا تقصد تحديد الزمان ولا تحديد المكان . يقول ما نصه : « إن المعانى التاريخية ليست مما بلغ على أنه دين يتبع . وليست من مقاصد القرآن فى شيء . ومن هنا أهمل القرآن مقومات التاريخ من زمان ومكان وترتيب للأحداث . إن قصد القرآن من هذه المعانى : إنما هو العظة والعبرة أى فى الخروج بها من الدائرة التاريخية إلى الدائرة الدينية(٢) » لقد قال هذا . وقد قلنا : إن القصة من حيث هى تاريخية سواء تاريخية حقيقية . أو من وضع الناس ؛ هى مكتوبة فى الكتب قبل نزول القرآن . والقرآن يقصد المعانى التاريخية

---

(١) بعد الطبعة الأولى لهذا الكتاب توجهت لزيارة الدكتور محمد أحمد خلف الله فى منزله بالجيزة ، ولم أكن أعرفه من قبل . فاستقبلنى استقبالا حسنا . وسألته عما إذا كان قد قرأ ردى عليه أم لا ؟ فأجاب بالنفى . ثم سألته عما إذا كان لا يزال مصرا على أفكاره أم لا ؟ فأجاب بكل تأكيد أنه لا يزال مصراً عليها . وبحماس شرحها لى شرحا وافيا . حسبما عبر عنها فى الكتاب . وسألته عما إذا كان سيغضب من ردى عليه أم لا ؟ فأجاب بأن ذلك يسره سرورا عظيما . وأن الأستاذ الفاضل صاحب مكتبة الانجلو المصرية أخبره بهذا مستأذنا وأذن له بسرور .

(٢) ص ٤٤ الفن القصصى .

بالتصحيح . سواء كان التصحيح للزمان أو المكان أو الأشخاص . وقد سبقت أمثلة لتصحيح المكان مثل « استوت على الجودى » والأشخاص مثل « لأبيه آزر » والزمان مثل « مئة عام » فى قصة الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها .

وبناء على ما قدمنا : نقول : إن المعانى التاريخية مكانا أو زمانا أو أشخاصا من مقاصد القرآن . لأنه إذا كان القرآن يصحح ما استقر فى الكتب من مسائل التاريخ . فإنه على ذلك يهتم بالأصل التاريخى الذى تدخل لتصحيحه . وإلا فلماذا يصحح ؟

ونختلف بناء على ماقدمنا مع صاحب الفن القصصى فى تحدى الرسول بالقرآن فبينما هو يرى أن التحدى « على قوة التأثير ، وسحر البيان » نرى نحن أن التحدى بمجموع الأمرين بقوة التأثير وسحر البيان من جهة . وبالتصحيح لأهل الكتاب وغيرهم من جهة أخرى وإيضاح معان كما سبق بيانه إنه يقول « التحدى إنما يقوم كما رأيت على قوة التأثير وسحر البيان . ومن هنا لا نستطيع أن نعد هذه الأخبار التى جاءت فى القصص القرآنى إحدى المعجزات[1] » أى إنه ينفى أن يكون القرآن معجزا فى المعانى بالضرورة . وهذا مناقض للقرآن الذى يصرح « أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » أى أن الكتاب كله إعجاز والقصص القرآنى إعجاز لأنه من آيات الكتاب .

---

(١) ص ٤١ الفن القصصى .

ثم يقول صاحب الفن عن قصص القرآن «إن هذه الأخبار قد أفادت كثيراً فى الإيحاء بنبوة النبي عليه السلام، وصدق رسالته فهو الأمر الذى لا ننكره . بل نقر به ونؤكده . لكن على أساس أن قوة هذا الإيحاء إنما تقوم على ذلك الرأى الدينى الذى كانت تدين به الجماعة ، والذى لا يلزم حتما أن تكون هذه الأخبار من التاريخ . فقد كان يكفيه منها أن تكون مما يعرفه اليهود أو يعرفه العرب(١) » يريد أن يقول إن القصة حيث تكون مما يعرفه اليهود أو يعرفه العرب ونطق بها الرسول حسب هذه المعرفة ذلك كاف فى إثبات النبوة . سواء كانت القصة واقعية حسب هذه المعرفة أم لا ويؤكد هذا بقوله : « موقف القرآن من قصة أصحاب الكهف موقف من لا يحكى الحقيقة التاريخية وإنما يحكى أقوال اليهود التى قد تطابق الحقيقة وقد لا تطابقها . ومن هنا لا يصح أن يتوجه أى أعتراض على هذه القصة من حيث اختلافها مع الواقع لأن تحقيق هذا الواقع ليس المقصود من القصة فى القرآن الكريم(٢) » .

ويتساءل صاحب الفن : لماذا لم يذكر الله عدد أهل الكهف ؟ ولماذا ذكر عدد السنين ؟ ويجيب على ذلك هو بقوله إن أحبار اليهود قد اختلفوا فى أمر العدد الحقيقى ، وذكر كل منهم عدداً فنزل القرآن بحسب أقوالهم ولم يقطع برأى يقول ما نصه « إذا كان أحبار اليهود قد اختلفوا

---

(١) المرجع السابق (٢) ص ٥٦ الفن القصصى

فى أمر العدد وذكر كل منهم عــددا معينا كان على القرآن أن ينزل بهذه الأقوال حتى يكون التصديق من المشركين بأن محمدا عليه السلام نبى . ولو ذكر القرآن العدد الحقيق وأعرض عن أقوال اليهود لكان التكذيب القائم على أن محمدا لم يعرف عدد الفتية ، وليس وراء هذا إلا أن الوحى لم ينزل عليه من السماء ، ويقول فى عدد السنين ما نصه « إن العلى القدير لم يعرض عدد السنين الحقيق إلا لحكمة . وأن هذه الحكمة هى أن يكون ما يذكر فى القرآن مطابقا لمـــا قاله اليهود للمشركين(١) » .

لقد بنى كلامه على باطل ، وما بنى على الباطل فهو باطل . لأنه لو كان مجرد المعرفة بما فى كتب اليهود أو بما يعرفه العرب كاف فى إثبات النبوة لادعى النبوة كثيرون بناء على هذه المعرفة ، وما كان يشك أحد فى نبوتهم . ولو كان الخوف من اليهود سببا فى عدم ذكر العدد لما نطق الرسول بحرف من القرآن . كيف وقد آمنوا بالجبت والطاغوت ؟ أما عن عدد أهل الكهف فالإجابة هكذا : إن الكتب التى تحدثت عن أهل الكهف إختلفت فى ذكر العدد ، ولم تجمع على عدد معين . فلو أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر عددا لكذبه من أهل الكتاب وغيرهم من يعتقدون فى عدد آخر . وعليه فلا إعجاز فى ذكر العدد لأنه لا يمكن لأحد أن يرجح رواية على رواية أما عـــدد السنين فهو ٣٠٩ كاهم

---

(١) ص ٥٥

بالسنين المعروفة فى حساب النتائج الشمسية وقد ذكره لأنك لو حسبت سنة دخولهم فى عهد القيصر الرومانى ، وسنة خروجهم لأمكن معرفة السنين ، ولا يستطيع أحد أن يكذب . يقال فى كتاب الأساطير الذهبية إنهم دخلوا فى عهد ديسيوس وخرجوا فى عهد تيودسيوس الثالث وليس الثانى .وقوله تعالى « قل ربى أعلم بعدتهم . ما يعلمهم إلا قليل » لا يشير إلى العدد فالعدد مختلف فيه كما ذكرنا والله وحده هو الذى يعلمه وإنما هو يشير إلى أن أهل الكهف لا يعرف قصتهم إلا القليل من الناس . وبالرغم من أن هذه القصة تهم النصارى لأن أهل الكهف من النصارى فإن النصارى إلا قليلا يعدون على الأصابع لا يعرفون خبرهم .

ومما زاد الطين بلة أن صاحب الفن بنى نظريته على أسباب النزول. وأسباب النزول ليست قرآنا ولا فى قوة القرآن . وإنما هو كلام منه صحيح ومنه غير صحيح فكيف يبنى نظارية على ما ليس من اليقين فى شىء ؟ لماذا سأل اليهود ولم يسأل النصارى ؟ خاصة وأن أهل الكهف من النصارى وهل كل ما فى القرآن عن « يسألونك » لازم منه أن سألوا فى الماضى ؟ ليس بلازم . وإنما اللازم أن هذه أسئلة متوقعة قد تكون سئلت فى الماضى وقد تكون لتسأل فى مستقبل الايام. وفى القرآن أن الفعل الماضى يكون بمعنى المضارع ، والمضارع يكون بمعنى الماضى .

... ... ...

أما عن ترتيب الأحداث فى القصة فيقول صاحب الفن ما نصه

« إن ترتيب هذه الأحاديث يقوم على أساس غايته تحريك العاطفة ويؤدى إلى نتيجة بغيتها هز العقول والافهام . وكل هذا هو ما تطلق عليه اليوم منطق العاطفة والوجدان » ويستشهد بتفسير المنار « قال الأستاذ الإمام : كثيرين من أعداء القرآن يأخذون عليه عدم الترتيب فى القصص ويقولون : هنا الاستسقاء وضرب الحجر كان قبل التيه ، وقبل الأمر بدخول تلك القرية فذكر هاهنا بعد تلك الوقائع . والجواب عن هذه الشبهة : يفهم مما قلناه فى قصص الأنبياء والأمم الواردة فى القرآن وهو أنه لم يقصد بها التاريخ وسرد الوقائع مرتبة بحسب أزمنة وقوعها وإنما المراد بها الاعتبار والعظة(١) » .

ونجيب على صاحب الفن وصاحب المنار معا: إن من المقاصد قصد الاعتبار والعظة ومع هذا المقصد مقاصد أخرى منها أن يرى أهل الفصاحة أن ما يكرره الفصيح فى موضع إذا ما ذكره فى موضع آخر ربما لا يكون بنفس فصاحة الموضع الأول . أما القرآن ففصاحة الموضع الأول هى نفسها فصاحة الموضع الثانى . وتلك سمة من سمات الفصحاء . ومقصد آخر: وهو أن أهل الكتاب ما كانوا يراعون ترتيب الحوادث التاريخية فى كتبهم . فإذا ما جاء القرآن على طريقتهم فى عدم الترتيب وكان فصيحا غير متناقض فإن ذلك نوع من الإعجاز ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم ما كان يعرف طريقتهم فى عدم ترتيب الحوادث . وإذا ما عابوا القرآن بعدم الترتيب فأولى بهم أن يعيبوا كتبهم التى لم ترتب . وقد ذكرنا أمثلة على ذلك فى كتابنا :

---

(١) الفن القصصى ص ١٢٧ — تفسير المنار ج ١ ص ٣٢٧

التوراة كتاب الله . ونذكر هنا أنك إذا أردت أمثلة من الإنجيل لخذ من أى إنجيل شئت فكل المفسرين مجمعون على أن الكتاب لم يراعوا ترتيب الحوادث .

وفرق بين عدم ترتيب الحوادث فى القرآن وعدم ترتيبها فى كتب أهل الكتاب هو أن القرآن مع عدم ترتيبه ومع تكراره لا تجد معنى يكذب معنى . بينما تجد المعنى يكذب المعنى فى غير القرآن أحيانا . خذ لذلك مثلا قصة ابنة الرئيس ( يايرُس ) التى ذكرها متى فى الاصحاح التاسع، ومرقس فى الاصحاح الخامس ولوقا فى الإصحاح الثامن قال متى : إن الرئيس جاء إلى عيسى عليه السلام فقال إن ابنتى ماتت . وقال مرقس إنه جاء وقال ابنتى قاربت الموت فذهب عيسى معه فلما كانوا فى الطريق جاءت جماعة الرئيس فأخبروه بموتها وقال لوقا جاء واحد من بيته فاخبره بموتها . وفوق ذلك : تجد أن التعابير مختلفة عند كل . واحد يوجز وآخر يبسط الكلام وهكذا . وهكذا القرآن يوجز فى القصة الواحدة ويبسط . ليس لأن الإيجاز مكى والبسط مدنى . بل ليرى العالم أن النبي الأمى يوجز ويبسط وفى الايجاز عظمة وفى البسط عظمة وليس معنى يناقض معنى . لأن الإيجاز والبسط والمعانى تنزيل من حكيم حميد .

( ١ ) يقول متى « وفيما هو يكلمهم بهذا . إذا رئيس قد جاء فسجد له قائلا : إن ابنتى الآن ماتت لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا . فقام يسوع وتبعه هو وتلاميذه .. ولما جاء يسوع إلى بيت الرئيس ونظر

المزمّرين والجمع يضجون قال لهم تنحوا . فإن الصبية لم تمت لكنها نائمة فضحكوا عليه فلما أخرج الجمع دخل وأمسك بيدها . فقامت الصبية فخرج ذلك الخبر إلى تلك الأرض كلها » [ متى ٩ : ١٨ - ٢٦ ] .

(ب) ويقول مرقس « وكان عند البحر . وإذا واحد من رؤساء المجمع اسمه يايرس جاء . ولما رآه خر عند قدميه ، وطلب إليه كثيراً قائلا : ابنتى الصغيرة على آخر نسمة . ليتك تأتى وتضع يدك عليها لتشفى فتحيا فمضى معه وتبعه جمع كثير وكانوا يزحمونه ... وبينما هو يتكلم جاءوا من دار رئيس المجمع قائلين : ابنتك ماتت لماذا تتعب المعلم بعد ؟ فسمع يسوع لوقته الكلمة التى قيلت . فقال لرئيس المجمع : لا تخف . آمن فقط . ولم يدع أحدا يتبعه إلا بطرس ويعقوب ويوحنا أخا يعقوب . فجاء إلى بيت رئيس المجمع ورأى ضجيجا . يبكون ويولولون كثيرا . فدخل وقال لهم : لماذا تضجون وتبكون ؟ لم تمت الصبية لكنها نائمة . فضحكوا عليه . أما هو فأخرج الجميع وأخذ أبا الصبية وأمها والذين معه ودخل حيث كانت الصبية مضطجعة وأمسك بيد الصبية وقال لها طليثا قومى . الذى تفسيره : يا صبية لك أقول قومى . وللوقت قامت الصبية ومشت لأنها كانت ابنة اثنتى عشرة سنة . فبهتوا بهتا عظيما . فأوصاهم كثيرا أن لا يعلم أحد بذلك . وقال أن تعطى لتأكل » [ مرقس ٥ : ٢١ - ٤٣ ] .

(ت)(١) ويقول لوقا « وإذا رجل اسمه يايُرس قد جاء . وكان رئيس المجمع . فوقع عند قدمي يسوع وطلب إليه أن يدخل بيته لأنه كان له بنت وحيدة لها نحو اثنتي عشرة سنة وكانت في حال الموت ففيما هو منطلق زحمته الجموع ... وبينما هو يتكلم جاء واحد من دار رئيس المجمع قائلا له قد ماتت ابنتك لا تتعب المعلم . فسمع يسوع وأجابه قائلا لا تخف آمن فقط فهي تشفى فلما جاء إلى البيت لم يدع أحدا يدخل إلا بطرس ويعقوب ويوحنا وأبا الصبية وأمها . وكان الجميع يبكون عليها ويلطمون فقال : لا تبكوا لم تمت لكنها نائمة فضحكوا عليه عارفين أنها ماتت فأخرج الجميع خارجا وأمسك بيدها ونادى قائلا : يا صبية قومي فرجعت روحها وقامت في الحال . فأمر أن تعطى لتأكل فبهت والداها . فأوصاهما أن لا يقولا لأحد عما كان » [ لوقا ٨ : ٤١ — ٥٦ ] .

وأني لأجد شبها كبيرا بين كلام صاحب الفن وبين كلام اليهود عن قصص التوراة . ولليهود العذر فيما يقولون فإنهم يعلمون أن التوراة مغيرة ومبدلة في بابل . أما نحن المسلمين فنشهد بأن القرآن كلام الله وهو الآن وإلى الأبد على أصله كما أنزله الله . يقول الفيلسوف اليهودي الهولندي سبينوزا في الفصل الخامس من رسالته في اللاهوت وعنوانه « السبب في وضع الشعائر والإيمان بالقصص لأي سبب ؟ ولأي نوع

---

(١) لاحظ أننا أتبعنا منهج الحروف العربية ولم نتبع طريقة أبجد — هوز — حطي . لأنها طريقة اليهود ونحن نعتز بعروبتنا .

من الناس كان ضروريا ؟ ، يقول ما نصه « إن معرفة هذه القصص والإيمان بحقيقتها ضرورى إلى أقصى حد للعامة الذين لا تقوى أذهانهم عن إدراك الأشياء بوضوح وتميز . ومن ناحية أخرى فإن من ينكرها نظرا إلى كونه لا يعتقد بوجود إله أو بعناية إلهية يمكن أن يعد كافرا . أما من يجهلها ومع ذلك يؤمن عن طريق النور الفطرى ( العقل ) بوجود إله ، وبكل ما يترتب عليه ، ويطبق من جهة أخرى قاعدة السلوك الصحيحة فى الحياة فإنه يحصل على السعادة الروحية الكاملة » يريد أن يقول ١ — إن القصص المقدسة ضرورية للعوام من الناس ٢ — وهذه القصص ليست ضرورية فى أصول الإيمان مادام الشخص مستقيما . أى ليست دليلا يبعث على التقوى إلا فى نظر العامة الذين يرون التسلية من جهة . واقتباس العبرة من جهة أخرى . وهذا على عكس القرآن فإنه يبين أن القصة للعوام وللراسخين فى العلم أيضا . وهى ليست للعبرة فقط بل تبعث على التقوى من جهة أن النبى صلى الله عليه وسلم يقص قصصا ما كان يعرفه ويصحح رواية ويكذب أخرى وما كان دارسا . أى أن بعثها على التقوى من جهة أن الله هو الذى يقص على لسان نبى قد جعل كلامه فى فمه .

... ... ...

وأعتقد أنه الآن قد وضح لنا موقف صاحب الفن القصصى من « اللون التاريخى » ، ووضح الرد عليه . ننتقل إلى النقطة الثانية من كتابه وهى « اللون التمثيلى » يقول ما نصه « إن القصة التمثيلية أو الخيالية

موجودة فى القرآن الكريم باعتراف أئمة التفسير من القدماء والمحدثين وبأن القصة التمثيلية قصة أدبية وأنها تدخل تحت صورة من صور التعريف الأدبى للقصة وهى « القصة هى العمل الأدبى الذى يكون نتيجة تخيل القاصّ لحوادث وقعت من بطل لا وجود له . أو من بطل له وجود ولكن الأحداث التى ألمت به لم تقع له أصلا » كما نستطيع أن نقول بأنا بعد كل ما تقدم لن نجد من يعارض فى وجود القصة التمثيلية فى القرآن الكريم وأنها وليدة الخيال وأن الخيال إنما يسود هذا النوع من القصص لحاجة البشر إليه وجريهم فى بلاغتهم عليه . والله سبحانه وتعالى إنما يحدثهم من هذا بما يعتادون(١) » وقد سبق أن أوضحنا ذلك فى الأساليب الراقية وهنا أذكر الأمثلة التى أعتمد عليها بقوة لنرى معا ما إذا كانت تمثيلا أم حقيقة ؟ يقول مانصه « وسنقصر الحديث هنا عن القصص التى تصور المظهر الثانى من مظهرى التمثيل وهى التى تبرز المعانى فيها فى صورة القصة ابتداء وإليك شيئا من هذه القصص » ثم يقص : ١ — خبر المائدة ويذكر أن الطبرى روى عن قوم إنها لم تنزل وأنها ضرب مثل ٢ — خبر الملأ الذين خرجوا من ديارهم ويبين أن ابن كثير روى عن قوم أن هذا مثل ٣ — خبر الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ويبين أن صاحب المنار قال يحتمل أن تكون القصة من قبيل التمثيل ٤ — خبر طلب إبراهيم من الله أن يريه كيف يحيى الله الموتى ويبين أن فخر الدين الرازى نقل عن أبى مسلم أن الطيور لم تذبح وإنما كان ذلك مثالا .

---

(١) ص ١٧٠ الفن القصصى .

٥ — وفى قصة ابنى آدم اللذين قربا قربانا بين أن صاحب المنار ذكر أن هذا ضرب مثل .

٦ — « هو الذى خلقكم من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها .. إلخ [ الأعراف ١٨٩ — ١٩٠ ] بين أن فخر الدين الرازى ذكر عن القفال « هذه القصة على تمثيل ضرب المثل » .

٧ — فى عصيان إبليس عن السجود لآدم قال إن الطبرى قال إن إبليس يشبه يهود المدينة الذين عرفوا الرسول واستكبروا عن طاعته .

٨ — وينقل نصا من تفسير المنار يؤيد به مذهبه .

قبل أن أرد عليه أقول إنه يعتمد على أقوال فى كتب التفسير . وهذه الأقوال إما أن تكون صحيحة وإما أن تكون فاسدة . وعلى الصحة والفساد إما أن يكون القائل مغرض لأن اليهود وضعوا إسرائيليات فى الكتب الاسلامية وإما أن يكون حسن النية مجتهدا وما كان يجب عليه أن يبنى نظرية على أساس واه . إن صاحب الفن معذور فى أنه بنى النظرية على المسطور فى الكتب التفسيرية ولكننا لا نعذر الآن إذا لم نصحح ما فى الكتب . أنا لا أشك أن الأمثلة التى ذكرها منها ما تدخل اليهود فى تفسيره لأنه يمسهم مسا مريبا وإليك البيان بإيجاز :

١ — قصة المائدة [ المائدة ١١٢ — ١١٥ ] .

المائدة قد نزلت بالفعل . وليست مثلا . وهى بشارة من الأناجيل

الأربعة بنبى الإسلام صلى الله عليه وسلم . « عيدا لأولنا » لأن الشريعة بادئة بموسى « وآخرنا » لأن عيسى آخر نبى من بنى إسرائيل . لما كان بنو إسرائيل فى سيناء نزل عليهم « المن والسلوى » وقد وضعوا قسطاً من « المن » فى التابوت تذكارا لفضل الله عليهم . فلذلك طلبوا من عيسى تذكارا لآخرهم كما كان المن من السماء تذكار لأولهم . وقد تغنى داود عليه السلام فى الزبور بالمن والسلوى وسماهما مائدة من السماء فى البرية « والذين قد شهدوا مائدة عيسى ليس لهم عذرا إن كفروا وقالوا كما قال بنو إسرائيل الأوائل « هل يقدر الله أن يرتب مائدة فى البرية ؟ » [ مزمور ٧٨ : ١٩ ] .

وقد تحدث عن نزول المائدة متى ومرقس ولوقا ويوحنا(١) . والقرآن لما تحدث عن المائدة يقصد ما جاء فى الأربعة خاصة يوحنا « أجاب يسوع وقال لهم هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذى هو أرسله ، فقالوا له فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك ؟ ماذا تعمل ؟ آباؤنا أكلوا المن فى البرية كما هو مكتوب ..إلخ » [ أنظر متى ١٤ : ١٤ — ٢٣ مرقس ٦ : ٣٤ — ٤٦ مرقس ٨ : ١ — ٢١ لوقا ٩ : ١٠ — ١٨ يوحنا ٦ : ١ — ١٥ يوحنا ٦ : ٢٤ — ٧٠ ] . وقد تحدثنا عنها فى غير هذا الكتاب .

٢ — الملأ الذين خرجوا من ديارهم [ البقرة ٢٤٣ ] .

هى قصة وليست مثلا ربما تكون هى الواردة فى سفر حزقيال ( ذو الكفل ) وهذا هو النص « كانت علىّ يد الرب فأخرجنى بروح

---

(١) أنظر قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ص ٤١٢ — ٤١٨ .

الرب ، وأنزلنى فى وسط البقعة وهى ملآنة عظاما . وأمرّنى عليها من حولها وإذا هى كثيرة جدا على وجه البقعة وإذا هى يابسة جدا. فقال لى يا ابن آدم : أتحيا هذه العظام ؟ فقلت : ياسيد الرب أنت تعلم. فقال لى: تنبأ على هذه العظام وقل لها : أيتها العظام اليابسة اسمعى كلمة الرب هكذا قال السيد الرب لهذه العظام ها أنذا أدخل فيكم روحا فتحيون . وأضع عليكم عصبا وأكسيكم لحما وأبسط عليكم جلداً وأجعل فيكم روحاً فتحيون وتعلمون أنى أنا الرب .

فتنبأت كما أمرت . وبينما أنا أتنبأ كان صوت وإذا رعش فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمه . ونظرت وإذا بالعصب واللحم كساها . وبسط الجلد عليها من فوق وليس فيها روح . فقال لى : تنبأ للروح . تنبأ يا ابن آدم : وقل للروح هكذا قال السيد الرب : هلم يا روح من الرياح الأربع : وهب على هؤلاء القتلى ليحيوا . فتنبأت كما أمرنى فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جدا جدا . ثم قال لى: يا ابن آدم هذه العظام هى كل بيت إسرائيل ... إلخ [ حزقيال ٣٧ : ١ — ١١ ] .

وفى تفسير القرطبى « قيل إنهم فروا من الجهاد ولما أمرهم الله به على لسان حزقيل النبى عليه السلام ... إلخ » .

٣ — خبر الذى مر على قرية [ البقرة ٢٥٩ ] .

هو قصة وليس مثلا . وقد ذكره السريان فى التواريخ التى كتبوها فى جنديسابور .

كان العلامة المحقق السنيور « جويدى » يدرس فى الجامعة المصرية. وقد ألقى أربعين محاضرة نشرتهم مجلة الجامعة المصرية . ثم أن أعضاء المجلة طبعوا المحاضرات الأربعين فى كتاب اسمه « محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب باعتبار علاقتها بأوروبا وخصوصا بإيطاليا » وقد رأيت أنا نسخة منه فى مكتبة معهد الدراسات العربية بمصر وعلى غلافها إسم صاحب النسخة وتاريخ الكتاب وهـــو ١٩٠٩/٤/٢٢ م ورقمه ٣٩٢٤٣ أدب ـــ ب ٣ / ١٧٠٠ وفى صفحة ٦٣ ـــ ٦٦ يقول العلامة « جويدى » ما نصه :

« قصة أصحاب الكهف : وهى مشهورة فى المشرق وفى المغرب وكان أول ما سطر من هذه القصة عند السريان فى الجيل السادس بعد الميلاد أى قبل ظهور الإسلام بمائة سنة تقريبا . ومن كتب السريان انتشرت فى الروم والقبط والأرمن وسائر الامم وأخرجت إلى لغاتهم ونص القصة عند السريان :

أن داقيس تتبع النصارى بالقتل أشد تتبع . وملك داقيس من سنة ٢٤٩ ب . م إلى سنة ٢٥١ ب . م ومر فى بعض حروبه بمدينة أفسس وأمر أهلها أن يسجدوا للأصنام فأبى عليه ذلك سبعة فتية فلاطفهم وتملق لهم وقال لهم سأمهلكم إلى رجوعى من الحرب وخرج من المدينة لغزوته . وخاف الفتية من هذا الجبار وآووا إلى غار فى جبل ورقدوا . ولما رجع داقيس سأل عنهم فخبر بهروبهم إلى الجبل ممتنعين من عبادة الأصنام فأمر بردم باب الكهف عليهم ليموتوا جوعا . ورأى ذلك بعض من

حضر هناك من المؤمنين بالمسيح وكتب خبرهم فى لوح من نحاس وجعل اللوح عند الباب من داخله ثم مات داقيس ومن بعده من ملوك الطبقة الأولى وتقلد قسطنطين الملك وتنصر وتوالى الملوك إلى الملك تادسيوس وكان مدة ملكه من سنة ٣٧٩ إلى سنة ٣٩٠ ب · م ·

ومن سنة ٤٠٨ إلى سنة ٤٥٠ ملك تادسيوس الأصغر الثانى وفى أيامه ألقى الله فى نفس رجل من أهل البلد الذى فيه جبل الكهف أن يبنى حظيرة لغنمه وهدم بالعناية الربانية الحجارة السادة لباب الكهف فدخلت أشعة الشمس فيه واستيقظ الفتية بأمر الله وهم لا يرون فى ألوانهم ووجوههم شيئا ينكرونه تخيل إليهم أنهم لم يناموا إلا ليلة واحدة وكان أحدهم أسمه يمليخا(١) وهو صاحب نفقاتهم ونزل إلى المدينة فى الثياب التى كان يتنكر فيها ( خوفا من داقيس ) ليشترى طعاما وهو متخوف من داقيس ظنا منه أنه يطالبه . ولما وصل إلى باب المدينة رفع بصره فرأى فوقه علامة دين النصارى أى الصليب فتعجب من ذلك وسمع الناس يحلفون بأسم المسيح ورأى المدينة قد تغيرت فأزداد تعجبا وتحيرا وقال فى نفسه : الرأى أن اشترى طعاما وأبادر بالرجوع إلى أصحابى فى الكهف . وطلب خبزا ودفع للخباز مسكوكات وهى بنقش داقيس الملك المتوفى قبل مائتى سنة تقريبا فتأملها الخباز ولم يشك فى أن الفتى أصاب كنزا من كنوز القدماء الثمينة وقال له : أرنى مكان الكنز ولا تخفه

---

(١) يمليخا أسم مستعمل عند السريان واليونان . ومثله كثير عند العرب مثل يملك والسريان تبدل الكاف خاء فالعرب تقول يملك والسريان تقول يملخ .

حتى وإلا انطلقت بك إلى رئيس المدينة فملىء الفتى رعبا وقال له هذه النقود أخذتها بالامس من بيت أبى ولم أجدها فى كنز البتة وجعلا يتمشا كسان ويتنازعان حتى اجتمع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وانطلقوا بيمليخا إلى رئيس المدينة وأسقفها وقص يمليخا عليهما قصته فصعدوا بأجمعهم إلى الكهف فى الجبل فرأوا الفتية وأيقنوا من أن هذا العجب العجاب هو آية من آيات الله الذى يحيي ويميت ونام بعدئذ الفتية وقضوا نحبهم ولاقوا ربهم فبنى الناس بيعة فى هذا المكان .

هذا هو نص القصة السريانية الأصلية بالإختصار . ومن السريان شاعت واستفاضت ثم زيد فيها فى بعض الكتب ونقص منها فى أخرى .

وهناك قصة تشبه قصة أهل الكهف موجودة فى بعض كتب اليهود من الجيل الاول بعد الميلاد لا فى التوراة بل بعدها وهذه القصة تناسب الآية فى سورة البقرة « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مائة عام ثم بعثه . قال : كم لبثت ؟ قال : لبثت يوما أو بعض يوم . قال : بل لبثت مائة عام . فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه . وأنظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس . وأنظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما . فلما تبين له . قال : أعلم أن الله على كل شىء قدير » ولا بأس من ذكر هذه القصة على الإجمال وهى أن أرمياء النبى كان له تلميذ حبشى يخدمه أسمه أبيملك ولما أوشك أن يتسلط بختنصر على بيت المقدس أرسله أرمياء ليقتطف تينا للفقراء الجياع فاقتطفها وعند رجوعه رأى شجرة جميلة وكان اليوم

قائظا محتدما فجلس فى ظل هذه الشجرة وضرب الله على أذنيه فنام ستين سنة وفى أثناء ذلك سلط الله بختنصر على بيت المقدس فأمعن فى القتل والأسر فى بنى إسرائيل وسبى منهم خلقا كثيرا حمله إلى بابل وتبعه أرمياء هناك واستيقظ أبيملك بعد ستين سنة بأمر الله ونظر إلى التين وهو طرى رطب بقدرة الله تعالى . وكان ذلك فى أول فصل الربيع ولم يكن من أوان التين فى شىء فقال أبيملك رأسى مصدوع من قلة النوم . ولولا أرمياء الذى يترقبنى لنمت قليلا . ثم قام وأخذ قفة التين . ولما وصل إلى المدينة لم يعرفها وأنكر كل مارأى منها فمسح عينيه وحار فى أمره . ثم رأى شيخا أحدودب من الكبر . فسأله : ما اسم مدينتكم هذه ؟ فقال أورشليم ( أى القدس ) قال أبيملك : وأين أرمياء النبى فتفرس فيه الشيخ وقال له : يا أحمق تسأل عن أرمياء وله ستون سنة فى بابل مع سبى اليهود ؟ وأجابه أبيملك قائلا : كيف ذلك وقد أرسلنى أرمياء فى صبح يومنا لاجتناء بعض التين . وأراه التين طريا فى غير أوانه فتبصر الشيخ وعرف أن هذه آية من آيات الله فكتب باروك إلى أرمياء النبى وكان من تلاميذه رسالة على لسان أبيملك وقص فيها عليه قصته العجيبة المدهشة .

والغرض من هذه القصة أن يبرهن على أن القيامة حق وأن الله يبعث الأموات وينشرها فإنه على كل شىء قدير . واتفق فى ذلك اعتقاد اليهود والنصارى مع اعتقاد أهل الإسلام . إلى هنا تمت القصة . انتهى كلام

العلامة المحقق السنيور « جويدى[1] » . بنصه .

٤ — طلب إبراهيم من الله أن يريه كيف يحيي الله الموتى [ البقرة ٢٦٠ ]

كان ذبح الطيور ذبحا حقيقيا وليس مثلا وطلب إبراهيم هذا الذى ذكره القرآن من أعظم الأدلة التى ذكرها القرآن على تحريف التوراة .

إن القرآن يصرح ببعث الناس من القبور إلى لقاء الله فى الدار الآخرة . والتوراة السامرية لتصرح أيضا بذلك . أما كاتب التوراة العبرية ( الأسفار الخمسة ) فوضع النص عن يوم القيامة محتملا لمعنيين إما أن يكون العذاب فى الدنيا وإما أن يكون فى الآخرة يقول الكاتب على لسان الله تعالى « أليس ذلك مكنوزا عندى مختوما عليه فى خزائنى لى النقمة والجزاء فى وقت تزل أقدامهم » [ تثنية ٣٢ : ٣٤ — ٣٥ ] وفى قصة إبراهيم هذه بين الكاتب للعبرية إن ذبح الطيور لم يكن من أجل أن يطمئن قلبه على إحياء الموتى وإنما من أجل أن يستيقن ويطمأن قلبه على أن يرث بنو إسرائيل أرض كنعان إرثا أبديا .

فى التوراة العبرية قال الله لابراهيم « خذ لى عجلة ثلاثية ، وعنزة ثلاثية وكبشا ثلاثيا ويمامة وحمامة فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه وأما الطير فلم يشقه فنزلت الجوارح

---

(١) محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب باعتبار علاقتها بأوروبا وخصوصا بإيطاليا ص ٦٣ — ٦٦ .

على الجثث وكان إبرام يزجرها . ولما صارت الشمس إلى المغيب وقع على أبرام — إبراهيم — سبات وإذا رعبة مظلمة عظيمة واقعة عليه . فقال لأبرام ... إلخ » [ التكوين ١٥ : ٩ — ١٨ ] .

٥ — قصة ابنى آدم [ المائدة ٢٧ — ٣١ ] .

هى قصة حقيقية وليست مثلا وهى فى التوراة العبرية هكذا « وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين . وقالت : اقتنيت رجلا من عند الرب ، ثم عادت فولدت أخاه هابيل . وكان هابيل راعيا للغنم ، وكان قايين عاملا فى الأرض وحدث من بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قربانا للرب . وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه ومن سمانها فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر . فاغتاظ قايين جدا وسقط وجهه فقال الرب لقايين لماذا اغتظت؟ ولماذا سقط وجهك ؟ إن أحسنت أفلا رفع ؟ وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها . وكلم قايين هابيل أخاه . وحدث إذ كانا فى الحقل أن قايين قام على هابيل أخيه وقتله . فقال الرب لقايين : اين هابيل أخوك ؟ ... إلخ » [ التكوين ٤ : ١ — ٢٦ ] .

٦ — « خلقكم من نفس واحدة ... إلخ » [ الأعراف ١٨٩ — ١٩٠ ] .

هى قصة حقيقية لآدم وحواء على تمثيل ضرب المثل . والآيات

هكذا « هو الذى خلقكم من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها ليسكن إليها ، فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به . فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين . فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون » .

والمعنى هكذا : خلق الله الناس من آدم وحواء من نفس واحدة . وابن آدم يحمل عناصر آدم أبيه وكل ولد لآدم حتى عصرنا هذا حين يتزوج امرأة يكون شبيها بآدم أبيه حين تزوج حواء فيقال له آدم ويقال لزوجته حواء . فلما تغشى الزوج زوجته التى جعلها الله ليسكن إليها حملت ولما كان الحمل خفيفا سكتت ولما ثقل عليها رجت الله مع زوجها أن يكون هذا الجنين ولدا صالحا وسيكونن من الشاكرين . فلما استجاب الله . جعلا له شركاء .. إلخ فأنت ترى أن الخلق لآدم وحواء خلق حقيقى ، والخطاب لأولاد آدم فى شخص أبيهم وأمهم لأنهم يحملون عناصر أبيهم الأول وأمهم الأولى . ولهذا نظير فى التوراة . يقول الله لبنى إسرائيل « أسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد ... إلخ » [ التثنية ٦ : ٤ ] وإنما هو يقصد بنى إسرائيل فى شخص أبيهم يعقوب .

٧ — عصيان إبليس شبيه بعصيان يهود المدينة .

وأين من هذا باب التمثيل يا صاحب الفن ؟ قصة إبليس قصة حقيقية وعصيان يهود المدينة قد حدث بالفعل وإذا كان هذا يشبه ذاك فى

الاستكبار فليس هذا الشبه بمسوغ لأن ندخل الموضوع فى باب التمثيل وأن تقصر العصيان يا صاحب الفن على يهود المدينة خطأ كبير . لأن العصيان مستمر إلى الآن وإلى الأبد .

٨ — نص تفسير المنار :

يقول صاحب الفن : جاء فى المنار ما يلى « وأما تفسير الآيات على طريقة الخلف فى التمثيل فيقال فيه : إن القرآن كثيرا ما يصور المعانى بالتعبير عنها بصيغة السؤال والجواب أو بأسلوب الحكاية لما فى ذلك من البيان والتأثير فهو يدعو بها الأذهان إلى ماوراءها من المعانى كقوله تعالى « يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد » فليس المراد أن الله تعالى يستفهم منها وهى تجاوبه وإنما هو تمثيل لسعتها وكونها لا تضيق بالمجرمين مهما كثروا . ونحو قوله عز وجل بعد ذكر الاستواء إلى خلق السماء « قال لها وللأرض : ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين » المعنى فى التمثيل ظاهر ... إلخ[1] » .

وقد سبق القول فى ذلك .

... ... ...

فى الفصل الأول من الباب الثانى تحدث صاحب الفن عن ١ — القصة التاريخية ٢ — القصة التمثيلية ٣ — القصة الأسطورية ٤ — قصة

---

(١) ١٦٩ الفن القصصى

الخطيئة . ولما تحدث عن قصه الخطيئة ذكرها كما رواها الفيلسوف الهندى محمد إقبال ولم يعلق عليها . أى أنه ذكرها ليستدل بها على أن فى القرآن « قصة رمزية أو قصة أسطورية » وردنا السابق هو رد على قصة الخطيئة . إنه إذا كان القرآن قد ذكرها على غير ما ذكرت فى التوراة فليس هذا بدليل على أنها رمزية أو أسطورية . بل هذا يعنى أن القرآن يصحح للتوراة كما يقول تعالى « إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى فيه يختلفون » [ النمل ٨٦ ] يقول صاحب الفن ما نصه « قصة الخطيئة ويسميها الفيلسوف الهندى محمد إقبال : قصة الهبوط ويفسرها هو على أنها قصة رمزية أو قصة أسطورية وأضع أنا هذه القصة كما كتبها إقبال وترجمها عباس محمود وراجع الترجمة المراغى أو مهدى علام فى كتاب « تجديد التفكير الدينى فى الإسلام(١) » ا هـ ويذكر أن نقط الخلاف التى أوردها محمد إقبال بين القرآن الكريم والتوراة هى :

١ — القرآن يسقط من روايته ذكر الحية وخلق حواء من ضلع من ضلوع آدم .

٢ — القرآن يقسم القصة إلى حادثتين متمايزتين إحداهما تتعلق بما يصفه بالشجرة فقط ، والأخرى خاصة بشجرة الخلد وملك لا يبلى ووردت الأولى فى [ سورة الأعراف ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ] والثانية فى [ سورة طه

(١) محمد إقبال : تجديد التفكير الدينى فى الإسلام ٩٦ وما بعدها — الفن القصصى ص ١٨٤ .

١١٠ ] ورواية القرآن تقوم على أن آدم وزوجه أذلهما الشيطان الذى يوسوس فى صدور الناس فذاقا من ثمار الشجرتين كلتيهما على حين رواية العهد القديم تقوم على أن الإنسان طرد من جنة عدن فور عصيانه الأول . وأن الله أقام فى الجانب الشرقى ملائكة وسيفا من لهب يتحرك فى جميع الجهات لحراسة طريق شجرة الحياة .

٣ - يلعن العهد القديم الارض لعصيان آدم . أما القرآن فيجعل الأرض مستقرا ومتاعا للإنسان ينبغى أن يشكر الله عليه « ولقد مكنا كم فى الأرض ، وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون [ الأعراف ١٠] .

ونرد عليه وعلى إقبال إن كان إقبال يعنى هذا الذى ذكره عنه صاحب الفن وما أظنه يقول بما فهمه عنه صاحب الفن لأن عباراته غير واضحة فى هذا الشأن تماما . نقول أولا : إن القرآن يقصد شجرة واحدة لا شجرتين شجرة جاءت بالألف واللام وشجرة جاءت بغير الالف واللام هى نفسها الشجرة الواردة بالألف واللام . وهى شجرة كما جاءت فى النقش البابلى وبهذا النقش البابلى فسرها علماء مسلمون معاصرون(١) .

ونقول ثانيا إن التوراة مختلفة فى قصة آدم فليست حجة على القرآن مثال ذلك ا — الإصحاح الأول من سفر التكوين يتضح منه أن آدم آخر المخلوقات والاصحاح الثانى يتضح منه أن آدم أول الخلق

---

(١) أنظر تفسير قصة آدم فى مجلة منبر الإسلام ١٩٧٥ م للدكتور القفل — وأنظر ص ١٨٥ الفن القصصى .

ف — يقول الكاتب إن آدم وحواء لما أكلا من الشجرة « أنفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانين فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر » [ تكوين ٣ : ٧ ] كيف خاط آدم وحواء أوراق تين ، وورق التين صغير الحجم ، وهما لم يعرفا هذه الصنعة ؟ يقول بعض مفسرى التوراة « والصعوبة هنا فى قوله « خاطا » ومترجم السريانية انتبه لذلك ، وصعب عليه إثبات أن حواء كانت تعرف الخياطة وتحكمها . ولذلك ترجم العبارة بقوله « لصقا أوراق تين » والحق أن الكلمة العبرية تعنى عملا أكثر من هذا(١) » .

ت — قال الله لآدم وهو فى الجنة « وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها . لأنك يوم تأكل منها موتا تموت » [ تك ٢ : ١٧ ] وقد أكل آدم ولم يمت . إلا أن يراد بالتعبير : العذاب الشديد .

ث — بعد خلق الناس وكثرتهم على الأرض « قال الرب : لا يدين روحى فى الإنسان إلى الأبد لزيغانه ، هو بشر . وتكون أيامه مئة وعشرين سنة » [ تك ٦ : ٣ ] وقد عاش كثيرون من الناس أكثر من هذه المدة . وعلى سبيل المثال « وعاش نوح بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة فكانت كل أيام نوح تسع مئة وخمسين سنة ومات » [ تك ٩ : ٢٩ ] .

... ... ...

---

(١) السنن القويم ص ٥٥

وفى الفصل الرابع من الباب الثانى وعنوانه « مصادر القصص القرآنى » يقول الدكتور محمد أحمد خلف الله فى نهايته ما نصه :

« ١ — المقصود من القصة هو استخراج الحقيقة الدينية التى يرمى إليها القرآن الكريم من القصة الواحدة أو من مجموعة القصص الواردة فى سورة واحدة .

٢ — أن استخراج هذه الحقائق يحتاج إلى نوع معين من الفهم هو ذلك الذى يجرى عليه العمل فى تحليل القصص الآن تحليلا أدبيا وهو الأمر الذى أشار إليه الزمخشرى عند حديثه عن التمثيل وعن القصة التمثيلية وذكرناه أول هذا الباب .

٣ — أن الأحداث والأشخاص فى القصص القرآنى من المواد التى يكون بها البناء وهى مواد قد تكون تاريخية وقد تكون خيالية وقد تكون صورا لما فى الأذهان أى معتقدات ومسلمات .

٤ — أن هذه المواد كانت موجودة فى البيئة [ البيئة العربية ] غالبا . وأن القرآن كان يعتمد على هذا الموجود كما هو وبحالته التى كان عليها لأن القصص القرآنى لم يجىء للتاريخ حتى يصحح الأوضاع وإنما جاء للعظة والعبرة وفى هذه تكفى المعتقدات والمسلمات .

٥ — إن باب التأويل مفتوح لمن يعوزه مثل هذا التأويل إلى الإطمئنان(١) » .

---

(١) ص ٢٥٩ — ٢٦٠ الفن القصصى

وأعتقد أن ما قدمناه كاف فى الرد . وإنما ذكرنا رأينا أولا لنعطى القارىء : الصحيح من التعاليم حتى إذا ما قرأ الفاسد يعرف فساده من تلقاء نفسه . وأى فساد بعد تقرير صاحب الفن إن القصص القرآنى كان موجودا فى البيئة غالبا وأن القرآن كان يعتمد على هذا الموجود كما هو وبحالته التى كان عليها ؟ أى إنه يريد القول بأن القصة فى القرآن لا يشترط صدقها ولا يشترط كذبها . فى حين أنه قد جاء فى القرآن الكريم « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين » [ هود ٤٩ ] « ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون » [ يوسف ١٠٢ ] « ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ؟ وما كنت لديهم إذ يختصمون » [ آل عمران ٤٤ ] « وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين — وما كنت بجانب الطور إذ نادينا » [ القصص ٤٤ و ٤٦ ] .

... ... ...

ويقول فى فصل « العناصر فى القصة القرآنية » ما نصه : « وهنا الموقف من الهدهد هو الذى أوقع الرازى وغيره من المفسرين فى حيرة

فقد نالهم العجب من صنع الهدهد الذى يدل على رجاحة عقله ونفاذ بصيرته وفهمه الأمور وفطنته إلى مالم يفطن إليه سليمان . يقول الرازى فى تفسيره للقصة : « البحث الأول : أن الملحدة طعنت فى هذه القصة من وجوه . . . وثالثها : كيف خفى على سليمان عليه السلام حال مثل تلك المملكة العظيمة مع ما يقال إن الجن والإنس كانوا فى طاعة سليمان وأنه — عليه السلام — كان ملك الدنيا بالكلية . . . ومن أنه يقال : إنه لم يكن بين سليمان وبين بلدة بلقيس حال طيران الهدهد إلا مسيرة ثلاثة أيام . ورابعا : من أين حصل للهدهد معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وإنكاره سجودهم للشمس وإضافته إلى الشيطان وتزيينه » ولو أن هؤلاء درسوا المسألة على أساس من الخلق الفنى للشخصيات وأنها ما وجدت إلا لتؤدى أدوارها فى القصة لما وقعوا فى تلك الحيرة ولما كان دفاع واتهام(١) » .

ونزيل طعن الملحدة لنزيل الأساس الذى بنى عليه صاحب الفن كلامه .

( ١ ) أما أن الجن والإنس كانوا فى طاعة سليمان . فليس كل الجن ولا كل الإنس بل بعض الجن وبعض الإنس . وهذا البعض من الجن والإنس سكان منطقة محدودة من الأرض لا كل الأرض هذه المنطقة مساحتها كما يقول القرآن « غدوها شهر ورواحها شهر »

---

(١) ص ٢٦٦ الفن القصصى و ص ٢٦ الفن القصصى — تفسير فخر الرازى ج ٧ ص ٢١٨

وهذه المساحة تمتد من بئر سبع وغزة إلى جبل لبنان . ومن موآب وعمون وأرام إلى البحر الأبيض المتوسط [ انظر الخارطة ٥ من أطلس الكتاب المقدس لرولى وانظر خريطة توزيع الأرض على الأسباط ] ولقد كانت مصر فى عهد سليمان عليه السلام مملكة قوية ولم تدخل فى طاعة سليمان .

( ب ) وقد حصل للهدهد معرفة الله من قوله تعالى « وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » [ الإسراء ٤٤ ] فهو شىء .

( ت ) وقد تحدثت التوراة عن سليمان ببعض مما جاء عنه فى القرآن وذكرت حديثه عن البهائم والطير والدبيب والسمك ، وتحدثت عن مملكة سبأ . من ذلك هذه النصوص : —

« وكان سليمان متسلطا على جميع الممالك من النهر إلى أرض فلسطين وإلى تخوم مصر » يحدد هذا النص حدود المملكة من النهر إلى أرض فلسطين وإلى تخوم مصر .

« وأعطى الله سليمان حكمة وفهما كثيرا جدا ، ورحبة قلب » يذكر هذا النص حكمة سليمان .

« وتكلم عن الأشجار من الأرز فى لبنان إلى الزوفا النابت فى الحائط » أى أنه تحدث عن الكبير وعن الصغير من الأشجار .

« وتكلم عن البهائم وعن الطير وعن الدبيب وعن السمك »[الملوك الأول ٤ : ٢١ — ٣٤ ] .

وتحدثت التوراة عن ملكة سبأ « وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب . . . فأتت إلى أورشليم بموكب عظيم جدا . بجمال حاملة أطيابا وذهبا كثيرا جدا وحجارة كريمة وأتت إلى سليمان وكلمته بكل ما كان بقلبها فأخبرها سليمان بكل كلامها . لم يكن أمر مخفيا عن الملك لم يخبرها به . فلما رأت ملكة سبأ كل حكمة سليمان والبيت الذى بناه وطعام مائدته ومجلس عبيده وموقف خدامه وملابسهم وسقاته ومحرقاته التى كان يصعدها فى بيت الرب لم يبق فيها روح بعد .

فقالت للملك صحيحا كان الخبر الذى سمعته فى أرضى عن أمورك وعن حكمتك ، ولم أصدق الأخبار حتى جئت وأبصرت عيناى فهوذا النصف لم أخبر به . زدت حكمة وصلاحا على الخبر الذى سمعته . طوبى لرجالك ، وطوبى لعبيدك هؤلاء الواقفين أمامك دائما السامعين حكمتك . ليكن مباركا الرب إلهك الذى سر بك وجعلك على كرسى إسرائيل » [ الملوك الأول ١٠ : ١ - ٩ ]

... ... ...

إلى هنا انتهى ردنا بإيجاز على كتاب الفن القصصى فى القرآن الكريم وكنا قد تعرضنا للمستشرقين فى نهاية الكتاب فى قولهم بالمصادر المحتملة للقرآن الكريم . ونجد لزاما علينا أن نفسر نبوءة المسيح عيسى عن هدم الهيكل التى أشرنا إليها هناك وبذلك نكون قد أرضينا ضميرنا ببذل أقصى ما فى وسعنا غيرة على كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

# الفصل السادس

# نبوءة هدم هيكل سليمان

قلنا المستشرقين أن يأخذوا من نبوءة المسيح عيسى عليه السلام عن هدم الهيكل دليل صدق على نبوة نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم وهذه هي النبوءة : —

أصلها : تحدث داود عليه السلام فى الزبور عن نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم فقال مانصه : «احمدوا الرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته . ليقل إسرائيل : إن إلى الأبد رحمته . ليقل بيت هرون : إن إلى الأبد رحمته . ليقل متقو الرب : إن إلى الأبد رحمته . من الضيق دعوت الرب فأجابنى من الرحب . الرب لى فلا أخاف ماذا يصنع بى الإنسان ؟ الرب لى بين معينى وأنا سأرى بأعدائى . الإحتماء بالرب خير من التوكل على إنسان الإحتماء بالرب خير من التوكل على الرؤساء كل الأمم أحاطوا بى باسم الرب أبيدهم . أحاطوا بى واكتنفونى . باسم الرب أبيدهم . أحاطوا بى مثل النحل . أنطفأوا كنار الشوك . باسم الرب أبيدهم . دحرتنى دحورا لاسقط . أما الرب فعضدنى . قوتى وترنمى الرب . وقد صار لى خلاصا . صوت ترنم وخلاص فى خيام الصديقين ، يمين الرب صانعة بيأس . يمين الرب مرتفعة . يمين الرب صانعة ببأس . لا أموت بل أحيا وأحدث بأعمال الرب . تأديبا أدبنى الرب وإلى الموت لم يسلمنى .

أفتحوا لى أبواب البر . أدخل فيها وأحمد الرب . هذا الباب للرب الصديقون يدخلون فيه . أحمدك لأنك استجبت لى . وصرت لى خلاصة

الحجر الذى رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا .

هذا هو اليوم الذى صنعه الرب نبتهج ونفرح فيه . آه يارب خلص . آه يارب أنقذ ، مبارك الآتى باسم الرب . باركنا كم من بيت الرب . الرب هو الله . وقد أنار لنا . أوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح . إلهى أنت فأحمدك ، إلهى فأرفعك . احمدوا الرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته » [ مزمور ١١٨ ] .

استشهاد عيسى بكلام داود : لقد روى متى فى إنجيله خطاب من عيسى عليه السلام لجموع اليهود والتلاميذ يأمرهم فيه باحترام شريعة موسى والعمل بها ، « على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ماقالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه »(١) وفى هذا الخطاب توبيخ للعلماء الذين يقولون مالا يفعلون ويشتمهم بقوله « أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم » ثم يوجه الخطاب لأورشليم القدس عاصمة المملكة اليهودية العبرانية فى ذلك الزمان فيقول « ياأورشليم ياأورشليم ياقاتلة الأنبياء ، وراجمة المرسلين إليها .

كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا . لأنى أقول لكم أنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب .

(١) تأمل قوله « وافعلوه » أى أنه لم ينسخ شريعة موسى

ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل . فتقدم تلاميذه لكى يروه أبنية الهيكل . فقال لهم يسوع : أما تنظرون جميع هذه . الحق أقول لكم : إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض » [ متى ٢٣ و ٢٤ ] .

البيان : ١ — لقد اقتبس عيسى عليه السلام عبارة داود عليه السلام لنبي الإسلام « مبارك الآتى بأسم الرب » ومن ينظر فى هذا الزبور الذى اتفق أهل الكتاب على إنه إشارة إلى النبي المنتظر يجد فيه .

ا — « الحجر الذى رفضه البناؤون قد صار رأساً للزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا » وهى عبارة لا تنطبق إلا على نسل هاجر جارية إبراهيم عليه السلام . ولأن اليهود من بنى سارة يعتبرون أنفسهم الأعلون على بنى إسماعيل ويحتقرونهم . وإذا كان المراد عيسى عليه السلام فأى عجب يكون فى أعين بنى إسرائيل وهو منهم ؟

ب — ونجد أيضا « أحمدوا الرب — وأحمد الرب — أحمدك — إلهى أنت فأحمدك — أحمدوا الرب » ولا يستبعد أن يكون مرموزا بلفظ « الحمد » إلى نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم لأن هذا المزمور يتحدث عنه إن لم يكن باسمه فبما يشبه أسمه .

ت — ونجد أيضا « أوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح » إشارة إلى انتهاء العمل بالشريعة الموسوية على يد النبي المنتظر . ويؤكد هذه الإشارة ما جاء فى أول المزمور « ليقل بيت هرون إن إلى الأبد رحمته » وفى بيت هارون عليه السلام كانت الشريعة واختصاص عمل الكهنة العلماء .

ث — وأبرز صفات النبي المنتظر فى هذا المزمور أنه لا يقتل بيد أعدائه « كل الامم أحاطوا بى . بأسم الرب أبيدهم » وأين من هذا عيسى عليه السلام الذى يقول النصارى إنه المقصود بهذا المزمور ؟ هل أحاط به الأمم ؟ هل حاربهم وهزمهم ؟

ج — وعبارة « باسم الرب » تفيد أن الآتى ليس آتيا من تلقاء نفسه . بل آتيا باسم غيره . بأسم رب العالمين وهذه العبارة لا تنطبق على عيسى حسب مفهوم النصارى فيه فالأرثوذكس يقولون إنه هو الله . فإذا كان هو الله نفسه فكيف بأسم غيره آتيا ؟ والكاثوليك والبروتستانت يقولون بطبيعتين ومشيئتين. طبيعة إنسانية كاملة وطبيعة إلهية كاملة ويقولون : هو واحد من ثلاثة ولكن اللاهوت واحد . فإذا كان اللاهوت واحدا فكيف يكون مرسلا من غيره لأن المرسل لابد وأن يكون أعلى درجة من يرسله ؟

٢ — وعبارة التوارة « الحجر الذى رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية » أشار بها عيسى عليه السلام إلى نبى الإسلام فى مثل من أمثلة ملكوت السموات وهو مثل « الكرامين الارديآء » وبين فيه بوضوح انتقال الملكوت من بنى إسرائيل إلى أمة أخرى . ولما سمع اليهود وعرفوا مغزى المثل هموا بقتله ، واستبعدوا هلاكهم على يد الأمة الأخرى . ويقول النصارى إنهم هم الأمة الأخرى . كيف وهم طائفة من بنى إسرائيل ونبيهم يهودى من جهة الأم ؟ يقول متى « اسمعوا مثلا آخر . كان إنسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج

وحفر فيه معصرة وبنى برجا وسلمه إلى كرامين وسافر . ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا ... فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين ؟ قالوا له : أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا . ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار فى أوقاتها . قال لهم يسوع : أما قرأتم قط فى الكتب . الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا . لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره . ومن سقط على هذا الحجر يترضض . ومن سقط هو عليه يسحقه ... إلخ » [ متى ٢١ : ٣٣ — ٤٦ مرقس ١٢ : ١ — ١٢ لوقا ٢٠ : ٩ — ١٩ ] فإن قلت لماذا كانت الأمة الأخرى أمة بنى إسماعيل؟ نقول للوعد والبركة فى نسل إبراهيم من الله بالتساوى بين إسماعيل وإسحق . وقد تحقق الوعد وتحققت البركة فى إسحق ردحا من الزمن فى شخص موسى صاحب الشريعة . وقد جاء دور بنى إسماعيل ليتحقق الوعد وتتحقق البركة فيهم إلى الأبد فى شخص محمد صاحب الشريعة التى نسخت شريعة موسى عليهما السلام . تقص التوراة أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام « سارى امرأتك لا تدعو اسمها ساراى بل اسمها سارة وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا . أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون » فتضرع وقتئذ إبراهيم إلى الله وقال له « ليت إسماعيل يعيش أمامك » أى أنه يريد أن يكون من إسماعيل أمم وملوك على الشعوب لتتبارك الأمم فى نسله كما ستتبارك فى نسل

إسحق فقال الله له « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه » [ تكوين ١٧ ] وعلى ذلك إذا لم تكن الأمة الأخرى بنى إسماعيل فمن تكون ؟ وقد رمز لبنى إسماعيل بالحجر المرفوض لأنهم من هاجر جارية إبراهيم واليهود من الحرة سارة .

٣ — ولقد تحققت نبوءة عيسى المسيح عن هدم هيكل سليمان . ففى سنة سبعين من الميلاد خربه تيطوس الرومانى وفى عام ١٣٥ م حرث أدريانوس أرض الهيكل وسواها بالأرض . ولما فتح المسلمون أورشليم ( القدس = بيت المقدس = إيلياء ) فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه بنى عمر المسجد الأقصى — يقال بناه مكان مذبح المحرقة — وما يزال المسجد قائما ، وسيزال المسجد قائما ما دامت السموات والأرض بأذن الله . [ تم تفسير الكتاب ]

فى ١٣٩٦/١١/٦ هـ الموافق ١٩٧٦/١٠/٢٩ م

تصحيح كلمات

| صفحة | سطر | الصواب |
|---|---|---|
| ٤٢ | ٢ | وفيلو |
| ٤٩ | ٥ | العبرية واليونانية |
| ١٢٣ | ١٩ | إنه |
| ١٤٨ | ١٧ | ء ( همزة ) بدل د |
| ١٥٥ | ١ و ٣ | الإفسادة |
| ١٥٨ | ١٢ | قورش |
| ١٦٠ | ١١ | إنه |

## من محتويات الكتاب


| الصفحة | الموضوع |
| --- | --- |
| ١٢ | فى القرآن ألفاظ غير عربية |
| ١٦ | قصص القرآن قد حدث بالفعل ـ قصة الصافنات الجياد |
| ١٧ | من عجيب الأعجاز فى القصص : الفروق الدقيقة بين الكتب التى تتحدث عن القصة الواحدة |
| ١٨ | الرسول عن أمر الله يتحدى الراسخين فى العلم |
| ١٩ | ومع تحدى الراسخين يراعى تفكير العوام |
| ٢٠ | من سمات التحدى : الايجاز فى الكلام ـ « الواو » فى « وبشرناه باسحق » أفادت أن الذبيح إسماعيل |
| ٢٧ | من سمات التحدى : الإطناب فى الكلام |
| ٢٨ | من سمات التحدى : الايجاز على طريقة خاصة للعرب فى التعبير |
| ٣٥ | من سمات التحدى : ما كان من المسائل الكبرى الشائعة فى العالم قبل الإسلام والتى ستظل الى الأبد ا ـ من المسائل الكبرى الظاهرة : عقيدة الأرثوذكس والكاثوليك ب ـ من المسائل الكبرى المستترة : أخبار الأديرة ـ الله واحد فى الانجيل . |
| ٣٩ | تحدى الراسخين فى العلم هو على جهة الخصوص لبنى إسرائيل . مثل : النفس بالنفس — كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل — ترتيب الآيات التسع فى القرآن : الأشد فالأشد أو الأول فالأول — حية موسى وثعبانه ؟ |
| ٤٩ | كل لفظ فى القرآن موضوع على المعنى بدقة وإحكام . مثل : المسيح بن مريم لم ينسخ شريعة التوراة . والناسخ لها هو نبى الإسلام — عالمية دعوة عيسى للناس هى للعمل بالتوراة ، وترقب مجىء نبى الإسلام — من أنواع تحريف أهل الكتاب للتوراة والإنجيل ا — لبس الحق بالباطل ب — تحريف الكلم من بعد مواضعه ت — تحريف الكلم عن مواضعه . |

| الصفحة | الموضوع |
| --- | --- |
| ٥٨ | لماذا اختار الله من قصص التوراة ما قصه علينا في القرآن ؟ |
| ٦١ | لا يوجد في أشخاص القصة القرآنية من نسب الله إليه كلاما لم يقله . |
| ٦٣ | الرد على دعوى نسبة كلام لأشخاص لم يقولوه بالأدلة الآتية : ١ — عزير ( عزرا ) ابن الله ٢ — المسيح ابن الله ٣ — إشاعة هاروت وماروت . وفيها : ا ـــ القرآن ينفي السحر ب ـــ قال الله « واتبعوا ما تتلو الشياطين » أي علماء اليهود ت — قصة سكاوا وأبناؤه السبعة . |
| ٦٧ | لماذا نحتج بكتب التوراة والإنجيل |
| ٦٩ | نقد مفسري القرآن في نقلهم بعض قصص التوراة وغفلتهم عن الغرض الذي جاءت من أجله القصة في القرآن . مثل : قصة داود وامرأة أوريا الحثي . |
| ٦٢ | الإمام الماوردي يحكي خلاف العلماء في أمرين ١ — هل كان الرسول قبل مبعثه متعبدا بشريعة من تقدمه من الأنبياء ؟ وفيما كان متعبدا به من الشرائع المتقدمة ؟ |

تفسير الكتاب

| الصفحة | الموضوع |
| --- | --- |
| ٦٩ | الفصل الأول : « يا أخت هرون » وفيه نبين : أن مريم رضي الله عنها من ولد هارون النبي أخي موسى |
| ١١٢ | الفصل الثاني : القصة الأسطورية . وفيه نبين : أن القصة إذا كانت أسطورة في غير القرآن فليس بلازم أن تكون أسطورة في القرآن |

الفصل الثالث : الأساليب الراقية . وفيه نبين : أن أسلوب استنطاق الجمادات من الأساليب الراقية . وليس هو فى شىء من القصة المحبوكة المعقدة المنتهية الى غاية . ١٣٠

الفصل الرابع :الإعجازوالهدف فى القصة وفيه نبين:أن الإعجاز والهدف فى القصة لازمان جنبا إلى جنب . وأن الاعجاز فى كلمات القصة مثل الإعجاز فى سائر كلمات الله . وأن الأعجاز والهدف كما يكونان فى القصة يكونان أيضا فى الأخبار الشبيهة بالقصة ـ حرب ٢٦ من صفر سنة ١٣٨٧ هـ الموافق ٥ من يونيو سنة ١٩٦٧ م منصوص عليها فى التوراة وفى القرآن ( المرة الأولى ) . ١٣٣

الفصل الخامس : رد الغو . وفيه نبين : وجهة نظر مؤلف الفن بايضاح وننقدها نقدا مباشرا ؟ ١٦٨

الفصل السادس : نبوءة هدم هيكل سليمان . وفيه نبين : أن نبوءة المسيح عيسى عليه السلام عن هدم الهيكل دليل صدق على نبوة نبى الإسلام . ٢٠٠

رقم الإيداع ١٩٧٧/١٧٢٢